

المنشآت الدينية الإسلامية بمدينة مصراتة - دراسة أثرية معمارية في ضوء منشآت الزروق والمحجوب -

د. جمال عبد العاطى خيرالله♦

المقدمة

"مصراته"، "مسرطة"، "مصراتة"، ويرجح الشكل الأخير للكلمة، اسم لقبيلة بربرية من قبائل هوارة كانت تسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي^(١) وتقع مدينة مصراتة - فلنيا - بين خطي طول ٥٥ ١٤° - ١٥ ١٥° شرقاً، وبين دائرتي عرض ٣٢ ١٤° - ٣٢ ٢٦° شمالاً، وجغرافياً، تقع مصراتة على بعد بضعة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط، على الطرف الغربي بخليج سرت، إلى الشرق من مدينة طرابلس الغرب بنحو ٢١٠ كم، وإلى الغرب من مدينة بنغازي بنحو ٢٢٠ كم^(٢). أما موضع المدينة، وهو يعني تلك المساحة التي تقف عليها مشتملة على المعالم الدقيقة للأرض التي يبدأ الاستقرار فوقها، وينتشر عليها ويؤثر فيها^(٣)، فموضعها منطقة سهلية خصبة، تعد جزءاً من منطقة جغرافية متجانسة، تمتد نحو ١٧ كيلو متراً بموازاة شاطئ البحر في منطقة تتوسط الساحل الليبي^(٤). ويرجع أصل المدينة إلى العصر الفينيقي، حيث كانت تسمى ((توباكتس)) في القرن ١٥ قبل الميلاد، وكانت تتمتع بميناء طبيعي هو مرفأ ((قصر أحمد)) الذي كان يعتمد في نشاطه التجاري على تصدير السلع الواردة من وسط القارة الأفريقية، وترجع أقدم الوثائق التي ذكر فيها اسم ((توباكتس)) إلى القرن الرابع قبل الميلاد^(٥).

* أستاذ مساعد الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة طنطا - وكلية الآداب - جامعة مصراتة.

- (١) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، دار الاتحاد العربي للطباعة، طرابلس، د.ت، ص ٣١٨.
- (٢) مصباح عاشور، استخدام طرق تقنيات المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في تحديد محاور التوسع العمراني في مدينة مصراتة، رسالة ماجستير في الجغرافيا غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ١٧ أكتوبر، ٢٠٠٥، ف، ص ٢٨، ٢٩.
- (٣) محمد عبد الستار عثمان، المدنية الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة الكويت، ١٩٨٧، ص ٩٩.
- (٤) انظر: محمد علي التير، مدينة زليتن، دراسة في جغرافية العمران، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة ناصر، ١٩٩٩م ص ٣٣، محمود أحمد علي زايد، التوسع الحضري وأثره على استغلال الأرض في مدينة الخمس، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المرقب، ٢٠٠٣، ص ٣٣.
- (٥) شعبان علي القبي، مصراتة معالم وملاح، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ط ١، مصراتة ١٩٩٩ ص ٢٣، حسين أبو مدنية، الموانئ الليبية، منشورات الشركة الاشتراكية للموانئ، مصراتة ٢٠٠٠، المقدمة.

وفي عام ١٥٠ ق.م غزا الرومان المنطقة، واستولوا على مصراتة من ضمن ما استولوا عليه من مدن الساحل الليبي والمراكز التجارية الفينيقية، وظل ميناء ((قصر أحمد)) هو الأكثر استخداما في العصر الروماني نظرا لأهميته التجارية^(٦). ولكن المدينة فقدت أهميتها في فترة حكم الوندال لها (٤٤٩-٦٤٢ م)، حيث مرت بحالة من الركود الاقتصادي والاضمحلال العمراني، نتيجة لما ألحقه الوندال بها من تخريب للثروات الطبيعية والمعالم الحضارية^(٧). وبعد دخول الإسلام لليبيا ٦٤٢/م، وانضمام مصراتة لقاافلة المدن الإسلامية المفتوحة، أصبحت جزءا من ولاية طرابلس الغرب التابعة للخلافة الأموية في دمشق ولا شك أنها مرت بفترة ازدهار منذ أوائل العصر العباسي وحتى استقلال الأغلبية بأفريقية في القرن ٣هـ / ٩م، وقيامهم ببناء المحارس والقصور على طول الساحل ما بين الإسكندرية وسفاقس^(٨). واستمرت المدينة في ازدهارها بعد ذلك حتى القرن السابع الهجري (١٣م)، ويؤيد ذلك ما ذكره أحد الرحالة الذين مروا بها، من ازدهار قصر أحمد فيما بين (٦١٠-٦٨٥هـ / ١٢١٢-١٢٨٦م)، ووصفه لهذا الميناء بأنه آخر حدود أفريقية من ناحية الشرق^(٩). وفي بداية العصر العثماني الأول (٩٥٨-١١٢٣هـ / ١٥٥١-١٧١١ م)، شهدت مصراتة توسعا عمرانيا، ونموا اقتصاديا، صاحبته صلات تجارية بين ميناء المدينة (قصر أحمد) وبقية موانئ البحر المتوسط والتي تواصلت بلا انقطاع خلال فترة الحكم القرمانلي (١١٢٣-١٢٥١هـ / ١٧١١-١٨٣٥ م)^(١٠)، وكان لمصراتة مواقفها المشهودة في تلك الفترة، فكانت مسرحا للتعاون بين حكام الأسرة القرمانلية وسلطين الدولة العثمانية ضد الاعتداءات الأوروبية على ليبيا لتهدئة الأوضاع وتثبيت الاستقرار وكان مرسى " قصر أحمد " يتخذ قلعة لحمايته في تلك الفترة^(١١). وفي العصر العثماني الثاني (١٢٥١-١٣٣٠هـ / ١٨٣٥-١٩١١ م)، أصبحت مصراتة ثاني المراكز التجارية والعمرانية في ولاية طرابلس، ويذكر الحشاششي ذلك ضمينا عن مصراتة بقوله " هذا البلد العظيم من أعمال طرابلس، يقال له " مسراته "

(٦) أحمد انديشة، الحياة الاجتماعية في المرفأ الليبية الغربية وظهرها في ظل السيطرة الرومانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٠، ص ٢٠.

(٧) محمد عبد الرازق مفتاح، الصحراء الليبية مصدر أقدم الحضارات، دار مكتبة الفكر، طرابلس ١٩٧٢، ص ١٢٣.

(٨) انظر: التجاني، (أبو محمد عبد الله بن محمد ت. بعد ٧١٧هـ) الرحلة (تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب)، تونس، ١٩٥٨م، ص ٢٢٠.

(٩) محمد يوسف نجم، إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، بنغازي ١٩٦٨، ص ٨٢. (10) Musratak'S commercial center, Bulletin of the faculty of Arts, university of libya , Gerald (H.Blake) the form , vol,1968 , p.14 fig p15

(١١) شارل فيرو (ترجمة وتحقيق د. محمد عبد الكريم الوافي)، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي الطبعة الثالثة ١٩٩٤، ص ٢٩٣.

،بينه وبين البحر اثني عشر كيلو متر ، وهواءه جيد للغاية وماؤه جيد ، وأرضه خصبة ، به النخل الكثير ،فلكل واحد من أهل البلاد بستان يخصه^(١٢) .

وقد تبقى لنا من العصور الإسلامية سبعة منشآت دينية بمدينة مصراتة من بين نحو ٢٠ منشأة ذكرتها المصادر التاريخية وروايات كبار السن من أهالي المدينة،و كان البعض مما ذكر منها قائما حتى نحو عقدين من الزمان قبل التطوير العمراني الحديث للمدينة بعد الثورة وتدرس المنشآت السبعة الباقية بالبحث في ضوء دراسة وصفية لنموذجين منها،و دراسة تحليلية تشمل المنشآت جميعا مقارنة بغيرها من المنشآت الإسلامية بالمدن الليبية الأخرى وترجع أهمية دراسة هذا الموضوع،إلى أن الطراز المعماري الإسلامي لهذه المنشآت يجمع بين خصائص الطرز المغربية المحلية،حيث العمارة التقليدية،وبين عناصر وافدة من المشرق الإسلامي،توارثتها الأجيال وحافظت على سمات وملامح هذا الطراز جيلا اثر جيل،كما تتميز هذه العمائر باختلاف وتنوع العوامل المؤثرة فيها،والتي ترتبط بحضارة الإقليم الليبي وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، في فترة تمتد من بداية القرن ١٠هـ/١٦م وحتى نهاية القرن ١٣هـ/١٩م . ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع لعدم إفراده من قبل الباحثين أو الدارسين بدراسة مستقلة تبين سماته وتطور عناصره وتبرز منشآته التي يدرس بعضها بالبحث لأول مرة ، كما أنها تجمع بين أنواع متعددة من العمائر الدينية كالمساجد الجامعة ، والمجمعات المعمارية ، والزوايا . كما أن ما تم تناوله منها بالدراسة من قبل جاء ضمن دراسات عامة حول العمارة الإسلامية في ليبيا أو نوع واحد من عمائرها(كالزوايا) وأن معظم ما توفر عن عمائر المدينة من دراسات سابقة يعوزه التوثيق والربط مع الدراسة الميزانية الواقعية .

وقد حفزني على دراسة هذا الموضوع ما كلف به طلاب قسم السياحة والآثار بجامعة مصراتة من دراسة ميدانية لهذه المنشآت في إطار تطبيق الدراسات النظرية في مادة العمار الإسلامية .

وترجع صعوبة هذه الدراسة لقلّة ما جاء عنها في ثنايا المصادر التاريخية المعاصرة - لفترة المنشآت - وندرة الوثائق من ليبيا أثناء فترة الاحتلال الإيطالي لها . كما أن تهدم عدد كبير من المنشآت الإسلامية بهذه المدينة والتي يؤرخ للبعض منها بفترة الدراسة ، يجعل من الصعب الربط بين نظامها التخطيطي وعناصرها المعمارية وبين غيرها من المنشآت القائمة .

ولا غنى لنا في تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة عن الخلفية التاريخية ودورها في تفسير بعض الظواهر المعمارية ، ومراحل النشأة والتطور العمراني ، ولاسيما في مدينة كبرى كمصراتة ، وهي ثالث أكبر المدن الليبية بعد طرابلس وبنغازي ،

(١٢) الحشائشي (محمد بن عثمان ت ١٨٩٧ م) ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ،تقديم علي مصطفى المصري ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٨٤ .

وتزداد صعوبة الدراسة إذا علمنا أن التأريخ لمنشآت هذه المدينة مسألة نسبية ، بسبب ندرة النقوش الكتابية التأسيسية عليها، وأن ما هو باق منها تعرض للتزييف أو التلف. وقد نلجأ للمصدر التاريخي، وما به من نصوص معاصرة أو كتابات الرحالة والزائرين والقوافل التي مرت بالمدينة في الطريق الذي يمر عبرها بالشمال الأفريقي، سواء للحج أو التجارة أو الترحال غير ذلك ، وقد تعكس الأدلة الأثرية الباقية نفسها حقائق هامة تظهر من خلال تأصيل عناصرها المعمارية والزخرفية إضافة لطرز تخطيطها .

واشتملت خطة البحث على دراسة وصفية ودراسة تحليلية بعد المقدمة ، واقتصرت الدراسة الوصفية التفصيلية على نموذجين من المنشآت السبعة الباقية ، الأول لجامع الشيخ أحمد الزروق كنموذج للتخطيط الموازي والمتعامد على جدار القبلة والمسقوف بقباب متعددة ومتساوية أما النموذج الثاني فهو مجمع الشيخ إبراهيم المحجوب والمشمتم على جامع وزاوية ملحقة به وقبة ضريحية ، ويخضع تخطيط الجامع فيه للبلطات العمودية على جدار القبلة والمغطاة بأقبية نصف برميلية- ويتبع النموذج الأول منشأتان سارتا على نفس النظام المعماري وهي جامع محمود خازندار وزاوية بن غلبون ق ١٢ هـ / ١٨ م ، وجامع الأغا (زاوية الأغا) بيدر (ق ١٢ هـ / ١٨ م) ، كما يتبع النموذج الثاني ثلاث منشآت هي : جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز (ق ١١ هـ / ١٧ م) ومجمع الشيخ فتح الله بالرميلة (ق ١١ هـ / ١٧ م) وجامع بن نصر بغرب مصراتة (ق ١٢ هـ / ١٨ م) في حين استقلت زاوية الشيخ محمد المدني (ق ١٣ هـ / ١٩ م) بتخطيط مستقل لكونها زاوية مستقلة غير ملحقة بمنشأة أخرى وإنما أحق بها ضريح للمنشئ .

واشتملت الدراسة التحليلية على ثلاثة مباحث ؛ المبحث الأول حول العوامل المؤثرة في عمارة المنشآت المصراتية - موضوع الدراسة - ، والمبحث الثاني يدور حول أنماط التخطيط المعماري لهذه المنشآت ، أما المبحث الثالث فهو عن الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية بالمنشآت . ويدور المبحث الأول فيها " العوامل المؤثرة في عمارة المنشآت " حول خمسة نقاط؛ وهي :

١- نشأة المدينة وتطورها العمراني ، ٢- العامل الديني وظاهرة التصوف ، ٣- العوامل البيئية والمناخية ، ٤- الحالة السياسية والاقتصادية ، ٥- وظيفة المنشأة ورغبة المنشئ. كما يدور المحور الثاني " أنماط التخطيط العمراني " حول ثلاثة أنماط ؛ بالأول : مساحة مستطيلة أو مربعة مكونة من صحن مكشوف ورواق للصلاة مقسم عن طريق البائكات إلى بلاطات عمودية على جدار القبلة ومغطاة بأقبية نصف برميلية.

والنمط الثاني : فمساحة مستطيلة أو مربعة مكونة من صحن ورواق للصلاة مقسم عن طريق البائكات إلى بلاطات عمودية وأخرى موازية لجدار القبلة ، وينشأ عن تقاطعها مساحات مربعة مغطاة بقبيبات متعددة متساوية .

والنمط الثالث، مساحة مستطيلة أو مربعة مكونة من صحن ورواق للصلاة، مقسم عن طريق البائكات الى بلاطات عمودية وأخرى موازية لجدار القبلة في آن واحد، ينشأ من تقاطعها مساحات مربعة مغطاة بقبيبات متعددة ومتساوية. ويدور المبحث الثالث فهو عن الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية بالمنشآت، ويدور حول ستة نقاط هي:

- ١- عناصر الإنشاء (مواد البناء - الجدران - الأساسات - الأعمدة - العقود - الأكتاف - الدعائم - الأسقف) ،
- ٢- عناصر المنفعة (البلاطات-الصحن-المنبر-المحراب-المئذنة-الماج-الضريح) .
- ٣- عناصر الاتصال والحركة (السلالم - الأبواب - الصحن) .
- ٤- عناصر التهوية والإضاءة (الصحن - النوافذ)
- ٥- عناصر الوقاية (الجدران - الأسقف) .
- ٦- العناصر الجمالية (الزخارف - الكتابات) .

وأرجو الله أن يلقي هذا البحث الضوء على أحد أوجه الطراز المغربي الإسلامي في العمارة، كان له ذاتية التطور في بيئته المحلية مع ما لحقه من تأثيرات وافدة وأن ينفع به الباحثين والدارسين للآثار الإسلامية .

أولا الدراسة الوصفية

بقي بمدينة مصراتة ثمان منشآت دينية إسلامية، من بين نحو ٢٢ منشأة كانت قائمة بالمدينة إلى عام ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م، حسبما يؤرخ لإحدى الوثائق الخاصة بحصر أسماء المساجد والكتاتيب والزوايا بمصراتة^(١٣)، والتي توضح أوقافها وإعفاء بعضها من الضرائب .

ومن خلال الدراسة الميدانية للمنشآت ومواقعها وتاريخها يمكن تحديدها فيما يلي؛

- ١- جامع الشيخ أحمد الزروق (الجمعة) بمحلة الزروق شرق مصراتة (ق ١٠ - ١٢ هـ / ق ١٦ - ١٨ م) .
- ٢- مجمع الشيخ فتح الله بن خليفة بمحلة الرميالة شمال غرب مصراتة (ق ١١ هـ / ١٧ م) .
- ٣- مجمع الشيخ إبراهيم المحجوب بزواوية المحجوب غرب مصراتة (ق ١١ هـ / ١٧ م) .
- ٤- جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز بوسط مصراتة (ق ١١ - ١٣ هـ / ق ١٧ - ١٩ م) .
- ٥- جامع بن نصر بمحلة أولاد بعيو بغرب مصراتة (ق ١١ هـ / ١٧ م) .

(١٣) دار الوثائق والمخطوطات، متحف السراي الحمراء، طرابلس، فهرس العماير الدينية بالمدين الليبية رقم ٨ مؤرخه ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م ملف المساجد .

- ٦- جامع محمود خازندار وزاوية بن غلبون بقصر أحمد شرق مصراتة (ق ١٢هـ / ١٨م).
- ٧- جامع يدر (زاوية الأغا) بمحلة يدر شمال مصراتة (ق ١٢هـ / ١٨ م).
- ٨- زاوية الشيخ محمد بن ظافر المدني بغرب مصراتة (ق ١٣هـ / ١٩م).
- ومن المنشآت المندثرة ، والتي كان بعضها قائما إلى عهد قريب ؛
- الجامع العالي (المسجد الجامع بالمدينة) بوسط مصراتة ، أعيد بناؤه في العصر العثماني الثاني (١٢٥١-١٣٢٩ هـ / ١٨٣٥-١٩١١ م) ثم هدم وأعيد بناؤه في الثمانينات من القرن الماضي .
- جامع السور بغرب مصراتة وكانت تغطي سقفة أقبية (مسقط ١٣) (١٤) هدم وأعيد بناؤه .
- جامع الشيخ صالح بن حمودة بشمال مصراتة ومساحته $12 \times 120 = 1440 \text{ م}^2$ ، كان يغطي سقفة ٤ أقبية ، ويرجع أساسه للقرن ١١هـ / ١٧م ، وهدم وأعيد بناؤه حديثا (١٥).
- زاوية المنتصر بوسط مصراتة وكانت مساحتها $8 \times 50,7 \text{ م}^2$ وكان يغطيها ثلاثة أقبية ويرجع تاريخ بنائها للقرن ١٢هـ / ١٨ م (شكل (١٦))
- مسجد الساعدية بمحلة رأس عمار بالرميلة وكانت مساحتها ($8,5 \times 8,5 \text{ م}^2$) وكان يغطيها ٣ أقبية ، ويرجع تاريخ إنشائها للقرن ١٣ هـ / ١٩ م (١٧)
- وتقتصر الدراسة الوصفية على منشآت الزروق والمحجوب ، كدراسة تطبيقية ، وكنموذجين يعبران عن باقي المنشآت ، حيث أن جامع الزروق (الجمعة حسبما تعارف عليه أهل المنطقة ، يعتبر نموذجا للمساجد الجامعة التي انتشرت في أحياء (محلات) مصراتة بعد توسع المدينة عمرانيا وضيق مسجدها الجامع (العالي) عن استيعاب جموع المصلين كما أن تخطيط جامع الزروق الذي يقوم على تقسيم رواق الصلاة إلى بلاطات عمودية وموازية لجدار القبلة مغطاة بقباب متساوية ، يكاد يتكرر مع اختلافات بسيطة في جامع محمود خازندار ، وجامع يدر أما مجمع المحجوب فهو نموذج لغيره من المجمعات المعمارية بمصراتة من حيث التصميم العام (جامع وزاوية وضريح) والجامع فيه مقسم إلى بلاطات عمودية على جدار القبلة مغطاة بأقبية نصف برميلية ، وهو تخطيط تكرر في كل من جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز ، وجامع بن نصر ، وفي جامع الشيخ فتح الله مع اختلاف اتجاه البلاطات في الأخير فقط ، وسار على نفس التخطيط من المنشآت المندثرة (جامع السور ، جامع

(١٤) علي مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهد بين العثماني والقرماني ١٥٥١-

١٩١١م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٠١ ، مسقط ١٣ ط ٤٨

(١٥) المرجع نفسه ، ص ٣١٧ ، ٣٠١ ، مسقط ١٤ ص ٤٨١ .

(١٦) علي مسعود البلوشي ، المرجع السابق ، ص ٣١٧ ، ٣٠١ ، مسقط ص ٤٧٩ .

(١٧) المرجع نفسه ، ص ٣٠١ ، ٣١٥ ، مسقط ١٢ ص ٤٨٠ .

صالح بن حمودة، مسجد الساعدية، زاوية المنتصر { أشكال - ، ، ، ، } أما زاوية المدني فهي زاوية مستقلة ذات صحن وخلوي (أعيد بناؤها) وملحق بها قبة ضريحه .
١- **جامع الشيخ أحمد الزروق (ق ١٠-١٢ هـ / ق ١٦-١٨ م)** :- يقع هذا الجامع بمحلة الزروق شرقي مصراتة على بعد نحو ٧ كم من مركز المدينة ، وعلى ربوة عالية تبعد لمسافة ٤٠٠م عن جامع الزروق الحديث شرقا ، ونحو ٥٠٠م تقريبا من الطريق الساحلي المار بمصراتة الذي يربط مدن الساحل الليبي^(١٨).

وينسب هذا الجامع والذي يسمى أيضا (جامع الجمعة) إلى الشيخ أحمد الزروق حيث كان يؤم المصلين في يوم الجمعة وفي صلاة الجماعة ويلقي فيه دروسه^(١٩) ويعتبر جامع الزروق أشهر المؤسسات العلمية بالمنطقة ، ومرجع هذه الشهرة من شهرة مؤسسه ، الذي جلب إليه أعدادا كبيرة من العلماء والحجاج والرحالة والتجار^(٢٠) .
وقد تركزت الدراسات السابقة حول هذه المؤسسة على الزاوية والتي كانت مجاورة لضريح الشيخ زروق (المسجد الحديث) وأغفلت أقسامًا أخرى هامة وهي المسجد الجامع - موضوع الدراسة - وزاوية الشيخ التي كانت ملحقة به (الزاوية الصغرى) ، ومسكن الشيخ الذي تحول إلى مسجد الحويرة^(٢١).

وقد جاء أقدم ذكر لمنشأة الزروق في نهاية القرن ٩هـ / ١٥م ، في كتاب " روضة الأزهار " للمؤرخ كريم الدين البرموني المصراتي (ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٨م) ، حيث ذكر أنه تعلم في زاوية الشيخ (الأولى الملاصقة للجامع) ، وكان شيخه شمس الدين اللقاني ، تلميذ الشيخ الزروق^(٢٢) .

والشيخ أحمد الزروق ، هو شهاب الدين أحمد أبو العباس بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي ، ولد عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م ، وتوفي في صفر ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م ، فعاش ٥٤ سنة^(٢٣) و"البرنسي" قبيلة من البربر ، كانت تسكن جهة فاس من أرض المغرب وتفقده الشيخ بها ، ثم ارتحل إلى مصر لتلقي العلم بالأزهر ، وتخصص في جميع العلوم ، ثم عاد واستقر بمصراتة حتى توفي ، وسميت المنطقة التي دفن بها بمحلة الزروق

(١٨) من خلال الدراسة الميدانية للباحث .

(١٩) رمضان شقلوف وآخرون ، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، ج١ ، مصلحة الآثار طرابلس ١٩٨٢ ، ص ١٥٤ .

(٢٠) مصطفى عبد الرحيم أبو عجيله ، زاوية أحمد الزروق ، دار رباح للطباعة والنشر ، مصراتة ، ٢٠٠١ م ، ج١ ، ص ٣٨٥ .

(٢١) علي خشيم ، أحمد الزروق والزروقية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، طرابلس ١٩٧٥ م ، ص ١٧١ .

(٢٢) محمد مفتاح قريو ، تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء ، مطبعة النهضة القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٨٠ ، محمد مخلوف ، تنقيح روضة الأزهار ، في مناقب سيدي عبد السلام ، مكتبة النجاح ، طرابلس ١٩٦٦ م ، ص ٢٥٨ .

(٢٣) الطاهر الزاوي ، أعلام ليبيا ، ص ١٠٩ ، ١٠٧ .

نسبة إليه (٢٤). وكان هذا الجامع قائما في القرن ١٠هـ/١٦م، حيث ذكر الرحالة الصميلي الفاسي (ت ٩٠٠هـ/١٥٨٢م)، أنه دخل مصراته وتوجه لزيارة الإمام " سيدي أحمد الزروق " فوصلها قبل الظهر وسار من زاويته إلى آخر تلك القرى المتصلة به لأنها آخر العمران هناك مستقبليين مفازة برقة^(٢٥). وذكر أحد الباحثين أنه بعد وفاة الشيخ زروق بنحو ١٧ عاما احتل الأسبان ولاية طرابلس ونزح عدد كبير من اللاجئين الذين لم يجدوا ملجأ آمنا أكثر من مجاورة الشيخ زروق بمصراته، وذلك لارتباط المغاربة والأندلسيين بمكافحة الأسبان من ناحية ولاشتهار الشيخ زروق بالكرامات من ناحية أخرى^(٢٦).

وقال القادري (من علماء القرن ١١هـ/١٧م) عن زاوية الزروق - جامع الزروق - أنها " .. حافلة مرتفعة البناء، واسعة الفناء، محكمة الصنعة في غاية الطرافة والحسن والرفعة " ^(٢٧) وينطبق هذا الوصف على الجامع والزاوية قبل هدم الزاوية الأولى حيث كان لها صحن (فناء) مشترك .

وكان الوالي القرمانلي أحمد باشا ١١٢٣ - ١١٥٨ هـ / ١٧١١ - ١٧٤٥ م) قد اهتم بعمارة منشأة الشيخ الزروق بمصراته^(٢٨)، ويبدو أنه أعاد بناء الجامع، حيث يرجح أن معظم العناصر المعمارية الباقية به ترجع إلى تلك الفترة .

وذكر الحشائشي أن السلطان عبد الحميد قد أمر ببناء مدرسة مجاورة لضريح الشيخ الزروق على مسافة تبعد نحو ٤٠٠م عن الجامع القديم بقوله "ووجدت الوصلة العثمانية مشغولة ببناء مدرسة هائلة مجاورة لمقامه، أمر ببنائها السلطان بعد الحميد"^(٢٩) ولكن المدرسة هدمت الآن وأعيد بناء الضريح، وحل محل المدرسة مؤسسة معمارية متكاملة التخطيط : (شكل ٢) الجامع على شكل مستطيل طوله ١٦م وعرضه ١١م، يتكون من رواق للصلاة مقسم عن طريق البوائك المتقابلة إلى أربعة بلاطات موازية لجدار القبلة وخمسة بلاطات عمودية عليه، ويتكون من ذلك ٢٠ منطقة مربعة، مغطى منها ١٧ منطقة بالقباب المتعددة المتساوية، فيما عدا جزء من البلاط المجاور للجدار الشمالي الشرقي فهو مغطى في ٣ مناطق منه بقبو نصف برميلي، وأزيلت الزاوية

(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٠٨، مصطفى أبو عجيبة، المرجع السابق ص ٣٩٩، موسوعة ط ١، ص ١٥٥.

(٢٥) عمار جحيدر، آفاق ووثائق، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس ١٩٩١، ص ٨٧.

(٢٦) علي جهان، المرجع السابق، ص ١٨٦، ١٨٥، وذكر أن الرحالة شمس الدين محمد بن الطيب الصميلي الفاسي من علماء القرن ١٠هـ/١٦م.

(٢٧) عبد السلام الحراري محمد، ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة، شعبة الإعلام الثوري طرابلس ١٩٩٨، ص ٤١٠.

(٢٨) ابن غلبون (تحقيق الطاهر الزاوي) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مطبعة الفجالة الجديدة، ط ٢، طرابلس، المطبعة السلفية ١٣٤٩هـ - ص ٢٦٣، ٢٢٥.

(٢٩) الحشائشي، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، ص ١٠٤.

"الصغرى" التي كانت ملحقة بهذا الجامع من الناحية الشمالية الغربية، وهي الزاوية التي ذكرها البرموني المصراتي، وكان يقصد بها الحجرة المربعة (قاعة التدريس) الملاصقة للجدار الشمالي الغربي وأساسات جدرانها باقية^(٣٠).

الوصف من الخارج: بني الجامع من قطع حجرية صغيرة مع ملاط جيرى قوي بطريقة ضرب الباب^(٣١)، ويصعد للجامع عن طريق ممهد بأرضية حجرية من الشارع الرئيسي ولكن لا تتخلله درجات سلم، يتوصل منه لمدخلي الجامع، والجدران سميكة من الأسفل (٨٠ م) ومسلوبة لأعلى (٥٠ م) وتميل من الخارج للدخل كلما ارتفعنا، زيادة في التدعيم ومقاومة دفع عقود البائكات داخل الجامع، كما تم تدعيم جدار القبلة من الداخل بركائز من البناء مدمجة بالجدران معقودة داخله بعقود (لوحة ١٦)

وللجامع مدخلان، أحدهما هو الرئيسي (لوحة ٢) يقع في الجدار الشمالي الشرقي، ويفتح على بيت الصلاة مباشرة بوسط الرواق الثاني من أروقته ناحية جدار المؤخر، والمدخل داخل تجويف بنائي، سمح به سمك الجدار وفتحته باتساع متر واحد، ومعقود من أعلى بعقد موتور، وتحدد فتحته ثلاث إطارات بارزة من الجص، كما زخرف أعلى كوشتيه بزخارف هندسية بارزة، وقوامها أشكال مثلثات متقابلة، كما يعلو واجهة المدخل شكل هلال من نفس مادة البناء (شكل ١٩)، ويعلو ذلك نافذة صغيرة لإضاءته.

أما المدخل الثاني (لوحة ١) فهو يتوسط الجدار الشمالي الغربي على محور المحراب، وكان هذا المدخل يفتح على صحن مشترك بين الجامع والزاوية الملحقة به في هذه الجهة (أزيلت الآن) ولكن تدل بقايا الأساسات الجدارية عند منتصف الضلع الشمالي الغربي من الخارج على أن قاعة التدريس بالزاوية كانت تقع ملاصقة للركن الشمالي من هذا الجدار من الخارج^(٣٢).

ويتشابه المدخلان في كون كل منهما داخل تجويف من البناء، لكن واجهة المدخل الشمالي الغربي تنتهي من أعلى بشكل مثلث من البناء وعقدت فتحة الباب فيه بعقد نصف دائري يقوم على كتفين بالبناء، كما حدد هيئته إطار بازر من البناء المغطى بطبقة من الملاط، دون زخارف ويغلق على فتحة الباب مصراعان من الحديد (يبدون أنهما حديثا الصنع).

وتتدلى من أعلى الجدارين الشمالي الشرقي والغربي ميازيب من البلاستيك وضعت على سطح الجامع، من المرجح أنها كانت تصب ماء المطر المتساقط عليه في (ماجل) في باطن الأرض كان مقاما بين الجامع وأروقة الزاوية بالصحن، وكان عمقه

(٣٠) علي فهمي خشيم، المرجع السابق ص ١٦١، محمد بن مخلوف البرموني، تنقيح روضة الأزهار، ص ٢٥٨ وقد أرشدني إمام المسجد (الزاوية حاليا) لمكان الأساسات وهي مجاورة للجامع.

(٣١) ضرب الباب: وهي الطريقة المعروفة في إقامة المنشآت في تلك الفترة وهي بوضع القوالب الخشبية وإنزال خليط الأحجار والملاط بداخلها.

(٣٢) من خلال الزيارة الميدانية للباحث.

يتجاوز ٤م ومساحته (١٢×٦م²) وكان مهيباً لاستقبال ماء المطر ،لم يطمس إلا بعد هجر هذه الزاوية إلى زاوية الحديثة بجوار الضريح^(٣٣).

الوصف من الداخل : تم تقسيم رواق الصلاة من الداخل عن طريق البائكات ببلاطات موازية وعمودية على جدار القبلة ،وتحمل عقودها أعمدة أسطوانية من الحجر الرملي مختلفة الأقطار ،مجلوبة من عمائر قديمة ،وهي أعمدة بلا قواعد ولكن تيجانها بسيطة مربعة المسقط ،ويصل ارتفاع بدن العمود ١,٢٥م وتواجه ١,٥م وتحمل هذه الأعمدة عقوداً مدببة منقوشة ذات مركزين ،تسير في اتجاهين متقابلين ،كما تدعم الجدران فيما يقابل العقود أكتاف داخل الجدران لمقاومة قوة دفع العقود ،وتعلو المربعات الناتجة من تقاطع العقود العمودية والموازية لجدار القبلة قباب ضحلة ،ارتفاعها عن سطح الأرض لا يتعدى ٣م ومنطقة الانتقال للقباب عبارة عن مثلثات كروية بسيطة ،وبالتالي لا تظهر لها رقاب من أعلى السطح ،وقد طليت الأعمدة والعقود والقباب وكذلك جدران الجامع من الداخل بالطلاء الأبيض السميك الذي يحجب رؤية موادها ،فيما عدا ٣ أعمدة تساقط طلاؤها فظهرت مادتها الأصلية ،ولبيت الصلاة أربعة نوافذ ،اثنتان منهم بجدار القبلة ، عن يمين ويسار المحراب في البلاطتين المجاورتين له ،والنافذة الثالثة بالجدار الشمالي الشرقي تفتح على البلاطة الأولى الموازية لجدار القبلة ،أما الرابعة فهي بالجدار الجنوبي الغربي ،وتفتح على البلاطة الثانية من بلاطات بيت الصلاة ،مما يلي جدار القبلة وهي نوافذ ضيقة (٠,٧٠م) ذات أعتاب مستقيمة

المحراب : يتوسط جدار القبلة محراب مجوف داخل كتلة من البناء ،تبرز إلى داخل بيت الصلاة في البلاطة الوسطى المتعامدة على جدار القبلة (لوحة ٢٢) ويميل قليلاً يسار البلاطة ليفسح مكاناً لوضع المنبر الخشبي الذي كان قائماً إلى جواره ،والمحراب مجدد على النسق القديم^(٣٤) ويعلو تجويف المحراب عقد نصف دائري مدبب قليلاً ،ويقوم العقد على كتفين من البناء مربعي المسقط بهما تجاويف طولية (على هيئة الأعمدة ذات الفتحات) وذلك بالجص تقليداً للحجر ،ويحدد هيئة المحراب إطار بارز من الجص كذلك ،وينتهي عند رأسه بشكل دائرة صغيرة (لوحة ٢٢) وبجدار القبلة عن يمين المحراب ،أعلى النافذة لوحة من الجص عليها زخارف بارزة قوامها أشكال فروع وأوراق نباتية مختلطة مع زخارف هندسية وكتابية ،وهذه اللوحة مربعة الشكل طول ضلعها ٧٠م وكتب فيها بالخط الثلث البارز المطلي بلون أزرق على أرضية بيضاء ما نصه "محمد رسول الله" (لوحة ٥٥) وهي بإطار بارز ذي أربعة دوائر وبأركانها زخارف نباتية محورة عن الطبيعة .

(٣٣) مصطفى عبد الرحيم أبو عجيبة ،المرجع ،ص ص ٣٩٦،٣٩٥ .

(٣٤) مشافهة مع إمام الجامع ومحفظ القرآن الكريم به .

مجمع الشيخ إبراهيم المحجوب: يقع هذا المجمع بزواوية المحجوب في مصراتة، على بعد نحو ٦ كم إلى الغرب من وسط المدينة، وحسبما تذكر سجلات جمع التراث بزواوية المحجوب، فإن الجامع يعتبر من أقدم الآثار الإسلامية بمصراتة من حيث النشأة، إذ يرجع تأسيسه لعام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، وهي نفس السنة التي استقر بها آل المحجوب في مصراتة^(٣٥)، ويضم هذا المجمع مسجدا جامعاً، وزاوية كاملة المرافق بصحن وخلوي وأروقة، بالإضافة لقبة ضريحية للمنشئ، ويرجح أحد المؤرخين أن الزاوية قد نشأت على يد مؤسس الجامع، الشيخ المحجوب نفسه^(٣٦)، بينما يرجح آخرون أن الجامع والزواوية تم إنشاؤها في القرن ١٢هـ/ ١٨م، على يد تلاميذ الشيخ المحجوب بعد وفاته^(٣٧). لكن الشواهد الأثرية الباقية، كالنظام التخطيطي للجامع وأسلوب البناء، وإلحاق الزواوية به في مكان الصحن منه، وإقحام القبة الضريحية على بلاطة في بيت الصلاة، وكذلك ترجيح بعض الآراء التاريخية من أن الشيخ إبراهيم المحجوب كان من أكابر الصالحين، حيث قام بتدريس القرآن والفقه من استقراره بمصراتة وأنه أوقف على زاويته أوقافاً كثيرة، تصرف بعض ريعها على الطلبة الوافدين إليها لطلب العلم^(٣٨) كل ذلك وغيره يؤكد أن إنشاء الجامع تم أولاً ويرجح أن ذلك كان في القرن ٧هـ/ ١٣م، ثم أعيد بناؤه في القرن ١١هـ/ ١٧م، بعد أن ألحقت به الزاوية، وهي زاوية من الزوايا البسيطة التي أقيمت بهدف نشر العلم ثم تحولت بعد أن دفن فيها مؤسسها إلى زاوية ولي، ومن هنا يعتبرها الباحثون من أقدم المؤسسات العلمية بالمنطقة^(٣٩)، وهذه الزاوية بالرغم من أنها لم تغير من النظام التخطيطي أو المعماري لبيت الصلاة بالجامع، إلا أنها غيرت من التخطيط العام للمنشأة، وقد قامت هذه الزاوية بدور بارز في إزكاء روح الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، حيث تخرج منها المجاهد رمضان السويحلي، الذي كان سيداً من سادات ولاية طرابلس، وبطل معركة القرضابية (ابريل ١٩١٥ م) واستشهد ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠ م (٤٠).

التخطيط: (شكل ٣) هذا المجمع على شكل غير منتظم الأضلاع، فالواجهة الرئيسية هي الجنوبية الغربية للجامع والزواوية طولها ١٦,٧٠م، والضلع الجنوبي الشرقي والشمال الشرقي، كل منهما ١٣,٨٠م، في حين الجدار الشمالي الغربي طوله ١٢م. ورواق

(٣٥) عن : تقرير لجنة جمع التراث بمنارة المحجوب، ص ٥ (د.ت).

(٣٦) عبد الكريم محمد أبو عليم، مصراتة تراث وحضارة، الطبعة الأولى مصراتة ٢٠٠٧، ص ٧١.

(٣٧) موسوعة الآثار الإسلامية، ج ١، ص ١٦٦، ١٦٥. علي مسعود البلوشي، المرجع السابق، ص ٣٠١.

(٣٨) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص ١٦٧.

(٣٩) إبراهيم أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالإيالة التونسية، من ١٦٦١-١٨٨١م، مركز جهاد الليبيين، طرابلس ١٩٩٦م، ص ١١٣. علي جهان، المرجع السابق، ص ١٦١.

(٤٠) الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص ١٦١-١٦٣.

الصلاة مقسم إلى ٥ بلاطات عمودية على جدار القبلة عن طريق ٤ بوائك، ويغطي هذه البلاطات ٥ أقبية نصف اسطوانية (لوحة ٣٦) والمسجد بدون صحن الآن ، ويرجح أن الزاوية التي ألحقت به شغلت مساحة الصحن في الجهة الشمالية الغربية منه ، أما الزاوية فتخطيطها يقوم على رواقين ، شمالي غربي وشمالي شرقي حول صحن ضيق بينهما مساحته (٢,٥٠ × ٥ م²) وتفتح على الأخير أربعة حجرات للخلاوي ، بقي منها واحدة ، في حين تفتح على الرواق الجنوبي الشرقي أربعة خلاوي ذات مساحات غير متساوية ، المتطرفتان منها بخلوتين ، والمتوسطتين لإيوان التدريس بالزاوية (يسمى محليا دكانه) ، وهي قاعة ذات أرضية مرتفعة (المسطبة) عن باقي الحجرات .

واقطع المعمار مساحة من البلاطة الأخيرة من رواق الصلاة فأقحم فيه القبلة الضريحية للشيخ ويتضح من تخطيطها هي والرواق الصغير الذي يتقدمها ، أنه لم يكن في التخطيط الأصلي مكان للضريح ولكن بعد وفاة المنشئ ، تم إقحام الضريح على المنشأة ، ولم يجد خلفاء الشيخ مكانا يناسبه في أروقة الواوية كغيره من الأضرحة الملحقة بالمنشآت الدينية الأخرى في مصراتة ، فاضطر لاستقطاع تلك المساحة من مؤخر بيت الصلاة .

الوصف من الخارج : الواجهة الرئيسية (الجنوبية الغربية) بها مدخلان ، أحدهما للجامع ويقع بجوار حائط المؤخر له ، وهو مدخل بسيط ، فتحة بابه نحو متر واحد ، وهو معقود بعقد نصف دائري يقوم على كتفين من البناء ، ويغلق عليه مصراعان من الخشب عليهما زخارف هندسية قوامها المثلثات المتقابلة ، والمدخل الثاني للزاوية ، ويفتح على رواقها الشمالي الغربي ، وهو أكثر ارتفاعا من الأول ، ويرتد للداخل عند جدار الواجهة بنحو ٢,٥ م ، وفتحة بابه ١,٥ م ، معقود بعقد نصف دائري له إطار بارز ويقوم العقد على كتفين من البناء لهما تاجان مربعان ، ويعلو العقد شكل هلالين ونجمتين في وضع متقابل على كوشتي العقد وداخل إطار يحدد واجهة المدخل (لوحة ٣) التي ترتفع بنحو ٠,٧٥ م عن باقي جدار الواجهة .

أما الواجهة الجنوبية الشرقية ، فهي تقع على شارع جانبي ، وجدار الواجهة سميك ١,١٠ م من أسفل وتميل للداخل كلما ارتفعنا وسمكها من أعلى ٠,٦٥ م ، وفي أركان المنشأة دعائم (ركائز) من البناء لتدعيم الجدران في مواجهة قوة دفع الأقبية ، وتنتهي الدعائم بشكل مدبب من أعلى (لوحة ١٠) ولتخفيف الحمل على الجدران ، فإن المعمار فتح نوافذ في آخر كل قبو على شكل نصف دائرة ، أعلى الجدار ، وفي نفس الوقت لكي تؤدي وظيفة التهوية والإضاءة وهذه النوافذ مغطاة بشبكة من الحديد المفرغ . وبنييت الجدران بقطع من الحجارة الصغيرة مع ملاط قوي ، وتتميز الجدران من الخارج بلون الملاط الطبيعي دون دهان .

أما واجهة المنشأة الشمالية الشرقية ، فهي مصمتة بالبناء ، ليس بها فتحات ، إلا فيما يقابل رواق الزاوية من الناحية الشمالية لها ، أما الجدار الشمالي الغربي للجامع ، فهو

الذي تشغل خارجه أروقة الزاوية والضريح ،وعلى جانبي مدخل الزاوية بالواجهة الرئيسية توجد مسطبتان من داعماتان للجدار من الخارج ،وضع بهما ساريتان من الخشب (لوحة ١٢) ملتصقتين بالجدار ،ومثبتتين فيه بقطع خشبية صغيرة ،وكان يوضع عليهما ريتان خضراوتان للإعلام بمكان الزاوية بقيت اليمنى منهما.

الوصف من الداخل : ينقسم رواق الصلاة لخمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة،وتفصل بينهما أربعة بائكات من العقود النصف دائرية ،وتتكون كل بائكة من ستة عقود ،فيما عدا البائكة المجاورة للواجهة الرئيسية فهي من سبعة عقود ،(لوحة ١٧)،وتقوم هذه العقود على أعمدة قصيرة أسطوانية الشكل مختلفة الأحجام والارتفاعات ،فأبدانها بين ١م :١,٢٥ م ،وهي بدون قواعد ،ومادة الأعمدة في الجامع من الرخام المطلي بدهان أبيض ،وأغلب الظن أنها مجلوبة هي وتيجانها من منشآت قديمة بمصرارة^(٤١) .ومعظم التيجان مربع الشكل ،والبعض له حواف مشطوفة،والبعض الآخر كأسى الشكل ،وتم تعويض الاختلاف في ارتفاعات الأبدان بتيجان سميقة متنوعة المقاسات ،يوجد تاج واحد خاص خارج المسجد ،وضع على فوهة المايل ،والذي يوجد خارج جدار الواجهة الرئيسية ،والذي كان يغذي الزاوية بالماء ولا زال في موضعه (لوحة ٤٧) .

المحراب : يتوسط جدار القبلة محراب ،تجويفه داخل كتلة من البناء تبرز لداخل بيت الصلاة ،وله عقد مدبب منفوخ ،قائم على كتفين بالبناء ،لكل منهما تاج مستدير وهو خالي من الزخرفة (لوحة ٢٣)

المئذنة : كان للجامع درج يصعد عليه المؤذن ليرفع من أعلاه الأذان ، من النوع المسمى (بالمئذنة السلم) وكان مجاورا للركن الجنوبي من الواجهة الرئيسية ،وهدم الآن وحل محله سور يأخذ نفس الارتفاع التدريجي ليدعم ركن البناء من الخارج.

الزاوية : وهي ملاصقة للجامع من الناحيتين ،الشمالية الغربية،والشمالية الشرقية ،وتضم الآن ٤ خلاوي كانت في الأصل (٨) لإيواء المريدين والمتصوفة بالزاوية^(٤٢) ولها مدخل من بيت الصلاة في الركن الشمالي منه ،بالإضافة لمدخلها الرئيسي ،وتتكون من صحن أوسط ضيق المساحة ،يتعامد عليه رواقان ،الشمالي الشرقي منهما عمودي على جدار القبلة مغطى بقبو نصف برميلي ،ويفتح عليه خلوتان (في الأصل ٤ خلاوي هدمت اثنتان منهم) ويفصل بين رواق الزاوية بائكة من العقود محمولة على خمسة أعمدة من الحجر الرملي ،أما الرواقان الموازيان لجدار القبلة فيفتح عليهما بالإضافة للخلوتين قاعة التدريس لجلوس الشيخ(الدكانة)،(لوحة ٥١) ويفصلها بائكة من العقود القائمة على أعمدة من الحجر الرملي ولكنها مدهونة بدهان أبيض ،وتمتاز

(٤١) رمضان شفلوف وآخرون ،موسوعة، ج١، ص١٦٦

(٤٢) علي جهان ، المرجع السابق ، ص١٥٧ ، موسوعة الآثار الإسلامية ج ، ص١٦٨ .

عقود الزاوية بأنها نصف دائرية وأنها أكثر اتساعا في أقطارها عن عقود بيت الصلاة وكذلك السقف منخفض عن سقف الجامع والجدران الخارجية أكتاف تحمل عقودا داخل الجدران لتدعيمها .

وبالرواق العمودي حنية ذات عقد مدبب بسمك الجدار الشمالي الغربي للزاوية ، أما الصحن الذي يتوسط الرواقين فهو مغطى الآن بعازل معدني مانع للمطر رغم مساحته الضيقة (٢,٥ × ٥,٧٥ م²) وفي الأصل كان مكشوبا للتهوية والإضاءة ، وأعمدة الزاوية ارتفاع كل منهما ٠,٧٥ م وتيجانها ٠,٢٠ م ، وقال شيخ الزاوية (٦٨ سنة) أنها كانت قبل ذلك أكثر ارتفاعا ولكنها طمر منها جزء لارتفاع الأرضية من حولها ، واستخدم في عمل العقود المتسعة الفتحات عبوة خشبية كبيرة (تسمى محليا غراره) .

القبة الضريحية : يحتل الضريح ورواقه جزءا من البلاطة الأخيرة من الجامع ، حيث أقم عليه بعد وفاة الشيخ المنشئ لإقامة ضريح يدفن فيه ، وهذه البلاطة أصبحت تفصل مساحة ٣ أجزاء من بلاطة بمؤخر بيت الصلاة ، وللضريح مدخل معقود بعقد نصف دائري من رواق الزاوية ، ويغلق عليه مصراعان من الخشب ، ويؤدي المدخل لرواق صغير المساحة مغطى بقبو نصف برميلي موازي لجدار القبلة ، وللرواق نافذة ذات عقد نصف دائري (لوحة ٤٤) .

أما حجرة الضريح فهي مربعة الشكل ، ضلعها ٢,٥ م ، يؤدي إليها مدخل من رواقها وهو مدخل معقود بعقد مدبب ذو مركزين (لوحة ٤٢) وتغطي الضريح قبة مرتفعة قائمة على مستويين من الجدران (شكل ١٥) ، كل مستوى به ٤ عقود مدمجة بالجدران (لوحة ٤١) وكلها عقود نصف مستديرة ، تزيد من ارتفاع القبة إلى ضعف أقبية الجامع (نحو ٦ م) ، ومنطقة الانتقال للقبة عبارة عن مثلثات ركنية بسيطة ، وتظهر القبة من أعلى السطح وذلك برفع الجدران نفسها لأعلى من مستوى السطح بنحو ١/٢٥ م ، وتنتهي بأشكال مثلثة في الأركان الأربعة للقبة ، وبداخل أحد العقود المدمجة جهة القبلة بالقبة الضريحية كتابات بالخط الكوفي المربع بالدهان نصها " الشهادتان " (لوحة ٤٥) ، شكل ١٨) ذكر كبار السن بالزاوية أنها مجددة على النسق القديم ، وبداخل الضريح تركيبة خشبية ذات ستر من النسيج الأخضر .

ثانيا : الدراسة التحليلية

أ - العوامل المؤثرة في عمارة المنشآت الإسلامية بمصراتة :-

يتأثر كل طراز معماري في نشأته وتطوره بعوامل البيئة التي يعيش فيها أصحاب ذلك الطراز ، وهي العوامل التي تأتي من ناحية الدين والسياسة والحالة الاقتصادية ، كما يتأثر في الوقت نفسه بالطبيعة الجغرافية من حيث المناخ السائد في المنطقة وبالطبيعة الجيولوجية من حيث أنواع المواد وطرق البناء^(٤٣) وقد تعددت العوامل التي أثرت

(٤٣) فريد شافعي ، العمارة الليبية ، ص ص ٤٠٧ ، ٤٠٦ .

على العمارة الإسلامية بمدينة مصراتة، وكان تأثير هذه العوامل متفاوتا من حيث القوة، مثل نشأة المدينة وتطورها العمراني، والأثر الديني مع انتشار ظاهرة التصوف والحالة السياسية والاقتصادية حينذاك، وكذلك العوامل البيئية والمناخية، كما نفذت بعض التأثيرات الشرقية وبخاصة العربية والتركية العثمانية إلى هذه العمائر .

وإذا كان استقرار العثمانيين بالمدينة، قد جلب معه بعض عناصرهم وأساليبهم في العمارة إليها، فإن الأثر العربي الإسلامي، ظل هو أقوى المؤثرات فيها بسبب الجسور الممدودة بين ليبيا وجيرانها العرب المسلمين، عن طريق قوافل الحج والتجارة أو عن طريق هجرة الصناع واستقرارهم بالأراضي الليبية^(٤٤) ويجب ألا ننسى التأثيرات المغربية على عمارة الإسلامية بالمشرق وخاصة من مصر، التي انتقلت إليها بعض العناصر المعمارية من الغرب الإسلامي، وأغلب الظن أنها جاءت مع فنانيين كانوا ضمن أفواج الحجاج الأفاقة والأندلسيين التي كانت تفر إلى مصر أو بحرا من الغرب^(٤٥)، وفيما يلي تحليل لهذه العوامل ومظاهر تأثيرها على المنشآت الإسلامية بمصراتة .

نشأة المدينة وتطورها العمراني : كان للمدينة الإسلامية عند تخطيطها شروط واجبة على السلطة في توفير مرافقها العامة ومن بينها : توفر الماء العذب، وتقدير سعة الشوارع وتوسط المسجد الجامع لها، وتقدير سوقها، والتميز بين قبائل ساكنيها بأحيائها، وإحاطتها سور، ونقل أهل لعلم والصنائع إليها بقدر الحاجة (٤٦) وتطبيق هذه الشروط على مدينة مصراتة - محل الدراسة - برغم أنها مدينة مفتوحة وليست إسلامية الإنشاء، ولكن أريد طبعها بطابع الإسلام .

وتبرز أهمية موقع مصراتة، من أنه وسط بين مدن الساحل الليبي والأقاليم المجاورة لها، وامتد تأثيره للطرق المؤدية إليها في تحديد اتجاهات محاورها وشوارعها، كما حددت أهمية الطرق البحرية موقعها من ناحية أخرى لبعدها قليلا عن الساحل، خوفا من اغتيال الأعداء لها، وهو اتجاه المسلمين في اختيار الموقع الملائم بعدما أصبح لهم قوة بحرية يعتمد عليها في حماية مدن السواحل وذلك في المدن العديدة التي أقامها المسامون على ساحل الشمال الأفريقي (٤٧) أو أعادوا تخطيطها وعمرانها بعد الفتح لمدينة مصراتة .

وامتازت مصراتة بتخطيطها المستدير، رغم محاذاتها لشاطئ البحر ولكن الشكل الذي يأخذ شكلا حرف Z للشاطئ جعل هينتها نصف مستديرة تقريبا، شاملة محلات (أحياء) المدينة ولضعف موقعها من الناحية الإستراتيجية، فإنه يرجح أنها كانت محاطة بسور

(٤٤) علي جهان ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٤٥) فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ٥٦٧ .

(٤٦) محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ١٠٠ .

(٤٧) محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ٩٠ .

في بداية الأمر ولأن التخطيط المستدير له ضرورياته الدفاعية ،حيث يسهل عملية المراقبة والحماية (٤٨) .

والمعروف أن مدينة بغداد التي شيدها المنصور (حوالي عام ١٤٩هـ/٧٧٦م) كانت مستديرة وكانت فكرة المدن المستديرة معروفة في الطرز المعمارية السابقة على الإسلام بالعراق منذ نحو ١٥ قرناً (٤٩).وبرغم نشأتها في العصر الفينيقي إلا أن مصراة بعدما فتحها المسلمون كان لا بد من إعادة تخطيطها على أساس من التنسيق للنظام المادي لكتلتها المدنية والذي يمثله كتلتها المبنية وارتباطها بالمجتمع الحضري وخدماتها لتوافق حاجات سكانها المسلمين (٥٠) ويجمع عدد كبير من العلماء والباحثين على أن المسجد الجامع ودار الإمارة (قصر الحكم) والسوق ، هي أهم المحاور التي قام عليها تطور العمران في المدينة الإسلامية بصفة عامة ،وكان التركيز على وضع المسجد الجامع في قلب المدينة مجاوراً لمقر الحكم باعتبار أنها تمثل مركز الإدارة المدنية (٥١).وقد استمد هذا التخطيط أصوله من النهج الذي أحدثه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة كأول عاصمة للمسلمين لدى هجرته إليها ،حيث بنى مسجده وبيته ، ومنهما كانت تدار أمور المسلمين كما تم نقل السوق إلى غربي المسجد (٥٢) والمسجد الجامع أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية ،فبالإضافة لوظيفته الدينية ،كان مركزاً لبحث الشؤون الدينية والسياسية والتربوية والاجتماعية ،وحكمت هذه الأهمية وضعه في المدينة باعتباره النواة الأساسية في تخطيطها (٥٣) لذلك كان يقع في مركز المدينة ، حتى يصل الناس إليه بيسر وسهولة من كافة أحيائها ، ومن أقاليمها ، كما كان يجب أن يكون من السعة بحيث يستوعب كل المصلين من أبناء

(٤٨) العميد طاهر المظفر ، المظاهر العسكرية في المدن العربية قبل الإسلام ،بحث مستخرج من مجلة آداب المستنصرية ،العدد ١٠ ، ١٩٨٤ ، ص ٤٦٦ .

(٤٩) أحمد القاسم الجمعة ،أصالة المعالجات المعمارية التخطيطية في الموصل خلال العصور الإسلامية ،مستخرج من كتاب أصالة المعالجات المعمارية التخطيطية عند العرب ، بغداد ١٩٨٦م ،

ص ٢٥ ، فريد شافعي العمارة العربية ص ١٠٣

(٥٠) محمد عبد الستار ،المدينة الإسلامية ،ص ٩٩ .

(٥١) السيد عبد العزيز سالم ، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى ،بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار القسم ٢ ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٧ ، محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ص ٢١٦ ، صالح لمعي ، المدينة المنورة وتطورها العمراني وتراثها المعماري ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١٢ ، أحمد قاسم الجمعة ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٥٢) عبد الرحمن الأنصاري ، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام ، المملكة العربية السعودية ، جامعة الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٣ .

(٥٣) محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ٢١١ ، ٢١٠ .

المدينة^(٥٤) وسارت مدن الأمصار الإسلامية الناشئة على نهج المسجد النبوي في المدينة في اختيار موضع متوسط لإضافة المسجد الجامع وأصبح هذا الاتجاه قاعدة تقليدية في المدن الإسلامية بعد ذلك وانسحبت على المدن القديمة التي فتحها المسلمون^(٥٥)، مثل مدينة مصراتة، والتي كان (الجامع العالي) بها هو مسجدها الجامع بعد الفتح الإسلامي، وكان هو أساس تخطيطها المعماري، بعد نقل مركز الثقل للمواطنين وسط مصراتة من ميناء قصر أحمد (لوحة ٥٨، خريطة ١)، ومن ثم كان حوله ميدان فسيح تتفرع منه الشوارع الرئيسية وبالغرب منه سوق وقامت حوله المساكن^(٥٦). وإلى العصر الحالي، فإن الناظر بخريطة المدينة، يجد كأنما تدور الشوارع الدائرية لها، حول مركز يقع بوسطه الجامع العالي^(٥٧) (شكل ١) ونتيجة للمميزات المعمارية التخطيطية المترتبة على توسط الجامع العالي للعمران، فإن العلاقة بين الشارع والجامع مع بقية الأنماط المحيطة للتصميم الحضري لمنطقة بنائه تجعل هناك نوعا من التواصل لأسلوب الشكل والبناء، وتوافقا في النسب الهندسية^(٥٨)، ومن ثم فإنه نتيجة للتوسع العمراني وتأثيره على حركة بناء المنشآت الإسلامية بمصراتة - موضوع البحث - وبسبب اكتظاظ الجامع العالي بالمصلين في العصور الإسلامية المتلاحقة، فقد أعيد بناؤه وتوسعت عدة مرات حتى العصر العثماني الثاني، وأمام التوسع المتلاحق لمحلات وأحياء المدينة، فقد شيد في كل محلة منها مسجد جامع اختص في بداية نشأته بقبيلة تتولاه ليقوم بوظائفه، ثم تتابعت مظاهر الاختلاط بين القبائل التي استقرت بالمدينة. وقد ذكرت بعض الدراسات الحديثة أن الجامع العالي أعيد بناؤه لأول مرة عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، حيث كان عدد سكان المدينة مصراتة آنذاك ما بين ٤٠٠ : ٥٠٠ نسمة، فالمساكن والحوانيت كانت تقع على مسمع من صوت مؤذن الجامع^(٥٩) وساعد موضع مصراتة على توجيه وتحديد اتجاهات نمو والتوسع العمراني، ومن ثم تحديد أثر النمط المعماري للمدينة، ومدى القدرة على التوسع الأفقي في أكثر من جهة^(٦٠)، ومع امتداد العمران والكثافة السكانية وخاصة

(٥٤) عادل عبد الله خطاب، خصائص استعمالات الأرض في المدينة القديمة، كتاب أصالة المعالجات المعمارية، ص ٢٠٢، ٢٠١.

(٥٥) محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص ٢١١.

(٥٦) محمد مفتاح قريو، المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٥٧) أعيد بناؤه عدة مرات، ربما منذ بداية القرن ٧هـ/١٣م، عن مفتاح قريو، المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٥٨) جنين كتامة، المسجد الجامع، جامع الملوية، مستخرج من كتاب أصالة المعالجات المعمارية، ص ١٢٧، ١٢٦.

(٥٩) شركة بول سيرفس، مصراتة المخطط الشامل، التقرير النهائي، رقم ط - ٤٧، وارسو، بولندا، د.ت، ص ٢٦.

(٦٠) محمود علي أحمد زايد، المرجع السابق، ص ٣٣.

منذ بداية العصر العثماني الأول ، باتت الحاجة ملحة إلى عدد أكبر من المساجد الجامعة ، وبعد الاستناد إلى فتوى الفقهاء بجواز تعدد الخطبة للحاجة ، وصحة صلاة الجمعة بعدد ٤٠ مصل ، بدأت ظاهرة تعدد المساجد الجامعة والتي بدأت في الانتشار منذ القرن ٧ هـ (١٣م) ^(٦١) وانعكس ذلك بصورة واضحة على مصراتة في القرن ١٠ هـ / ١٦م ، حيث أنشئ جامع الشيخ أحمد الزروق (جامع الجمعة) ، في محلة الزروق وعلى نهجه ، شيد جامع محمد خازندار في قبيلة الشروع بقصر أحمد شرقي مصراتة ^(٦٢) . وكان لإنشاء أكثر من مسجد جامع في المدينة أثر في اعتباره مؤسسة دينية في المقام الأول ولم يعد ينظر إليه باعتباره مؤسسة إدارية مدنية كما كان من قبل ^(٦٣) ، وكانت مساجد الخمسة في المحلات ، قد انتشر بناؤها بمصراتة مع استحداث هذه الأحياء واتساع رقعة العمران ، فاتخذت هذه "المحلات" هيئة " المدينة الأم " وأصبح مسجدها الجامع يمثل مركزها . كما تحولت بعض مساجد الخمسة إلى مساجد جامعة أيضا ، ففي وسط المدينة كانت قبائل الدرادفة والمقاوية والكوافي يصلون في الجامع العالي ، وكانت نفقاته موزعة عليهم ، ولكن بعد انتقال مركز المدينة للمواطنين ، أسس المقاوية مسجد " السور " وأسس الكوافي مسجد المعروف باسمهم ، وبقي الجامع العالي للدرادفة ، وقد كان توسيع جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز في منطقة متوسطة بين المساجد الثلاث فحمل صفة " المسجد الجامع " ، ويجمع القبائل الثلاث وأهل السوق وغيرهم رغم أن بداية تأسيسه (ق ١١ هـ / ١٧م) كان مسجد أوقات ^(٦٤) . ومع تطور المدينة شمالا وغربا ، فقد أنشأت فيها عدة مجمعات معمارية ، وهي مجمع الشيخ المحجوب (ق ١١ هـ / ١٧م) بزاوية المحجوب (لوحة ٤ شكل) ومجمع الشيخ فتح الله بالرميلة (ق ١١ هـ / ١٧م) (لوحة ٥ شكل) وجامع يدر (زاوية الأغا) بمحلة يدر (٦٥) (ق ١٢ هـ / ١٨) (لوحة ٣٠) ، كما أنه بسبب أهمية الظهر الصحرأوي واتجاه العمران جنوبا ، فقد أنشأت زاوية وضريح الشيخ المدني (ق ١٣ هـ / ١٩م) جنوب غرب المدينة ، ولذلك لم تكن الوسطية هنا شرطا لازما للجامع في التخطيط في محلات المدينة بقدر ما هو مرتبط بالقرب من مناطق التركيز السكاني للعامة . ولاشك أن من أسباب ازدهار العمارة في مصراتة في العصرين العثماني والقرمانلي ، أوهو لكونها مركز تجاري هام ، ازدهرت بها تجارة المنسوجات ، ومنتجات الزيتون وغيرها ، وتوضح طبوغرافية المدينة ميل النشاطات

(٦١) انظر : محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ٢١٤ .

(٦٢) رمضان شقلوف وآخرون ، موسوعة الآثار الإسلامية ، ج ١ ، ص ص ١٧٨ ، ١٥٤ .

(٦٣) محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ٢١٣ .

(٦٤) علي جهان ، المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٦٥) يدر : إحدى ضواحي مصراتة تبعد عن مركز المدينة نحو ٤ كم شمال المواطنين وسكانها الكوارغلية ويدير كلمة بربرية الأصل عن علي جهان ، المرجع السابق ص ٣٥٩ .

الحضرية لاختيار المواقع السهلية القريبة من طرق المواصلات البرية ، تطبيقاً لمبدأ سهولة التوصل إليها .كما أثرت طبيعة موضع المدينة في عمرانها ، بحيث لم تعان مشكلة المياه ، حيث تتوفر المياه في جميع أحيائها والتي تحتل المساجد الجامعة والمجمعات الدينية المركز منها ، كما سهل الانحدار التدريجي نحو مركز المدينة (أعلى ارتفاع ٨٠م، وأقل ارتفاع ٢م عن مستوى سطح البحر)، عملية تصريف المياه الأمطار من أسطح المنشآت^(١٦) وكان ذلك من شأنه المساعدة في توفير المياه العذبة بشكل دائم في تلك المنشآت ومن ثم في توزيع تلك الأحياء بشكل دائري حول مركز المدينة .

- أثر الدين وانتشار ظاهرة التصوف :- تعد الأحكام الفقهية الإسلامية بمثابة القانون العام الذي ينظم البناء في المدينة ، وانطلقت هذه الأحكام من مفاهيم إسلامية أساسية كحق الملكية الخاصة وحرية التصرف بها وتعرضها للتغيير تبعاً للمعاملات الإسلامية^(١) ويمكن دراسة الأثر الديني لهذه الأحكام من عدة نواحي، الأولى في اثر المذهب المالكي المنتشر في مصراتة وليبيا بصفة عامة، والناحية الثانية في انتشار التصوف بالمنطقة وما تبع ذلك من آثار على العمارة ، أما الناحية الثالثة فتتمثل في اعتقاد كثير من الناس في تلك الفترة في المرابطين العلماء وكبار الفقهاء فمن ناحية اثر المذهب المالكي والذي انتشر في بلاد المغرب في القرون الأولى للهجرة ، فان أصحاب هذا المذهب يؤثرون اتخاذ مسجد جامع لكل مدينة أو محلة تتعقد به صلاة الجمعة^(٢) . ومن ثم فقد أثر ذلك على اتساع مساحته لتشمل أهل المدينة أو المحلة جميعاً، فكان في البداية الجامع العالي هو مسجد مصراتة الجامع الى أن اتسعت وتعددت محلاتها فتعددت مساجدها الجامعة .

كان العلماء والفقهاء يصدرن (فتاوى) شرعية، تتحول بموجبها مساجد الخمسة الى جوامع تقام بها صلاة الجمعة ، مثلما حدث عندما أصدر عدد من فقهاء مصراتة (منهم الشيخ عثمان بادي) موافقة شرعية على إقامة صلاة الجمعة بمسجد "القرقامة" فتحول بمقتضاها من مسجد أوقات القبيلة الى جامع تقام به صلاة الجمعة وتلقى فيه الدروس وتعد به حلقات العلم^(٣) ، ومن ثم فقد أثر ذلك على عمارة المسجد بزيادة مساحته للضعف وإعادة تخطيطه، كما أقيم مسجد "أوقات" مكان سكن الشيخ أحمد الزروق بمحلة

(١٦) الهادي أبو لقمة ، سعد القزيري ، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ، سرت ١٩٩٥، ص ١٠٢ .

(١) - محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ١١٢ .

(٢) - محمد العربي القروي ، الخلاصة الفقهية على مذاهب السادة المالكية ، دار الكتب العلمية ، دون تاريخ ، ص ١٢٥ .

(٣) - علي جهان ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ ، والفتوى محفوظة بمسجد القرقامة ، بخط الشيخ "عثمان بادي" .

الزروق، ولما أقيم جامع كبير بهذه المحلة، تحول المسجد الأول (مسجد الحويرة) في فترة الحكم العثماني الثاني الى كتاب لتحفيظ القرآن الكريم بموافقة شرعية كذلك^(٤). وفي الربع الأخير من القرن ١٣هـ / ١٩هـ، أطلق على جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز (جامع السنة)، وهي تسمية لها علاقة بحلقات العلم ودروس الوعظ التي كانت و لا تزال تعقد فيه^(٥)، ولاشك أن ذلك أثر على عمارة الجامع، والذي تضاعفت مساحته عدة مرات منذ إنشائه وحتى السنوات الأخيرة من القرن الماضي (شكل ٤) فألغى صحنه المكشوف وتحول مكانه الى جزء من بيت الصلاة تفتح عليه عقود قائمة على أكتاف من الجدار القديم (لوحة ١٩) كما أضيفت إليه عدة بلاطات أكثر اتساعا ومسقوفة بأقبية نصف اسطوانية لمراعاة التناسق مع الجزء القديم منه (لوحة ٣٣). ومن العوامل التي أثرت على المنشآت الدينية بمصر أثناء شيوع ظاهرة "التصوف" والذي بدأت بذوره في القرن ١هـ / ٧م، في نزعات الزهد والذي تحول لتصوف في القرن ٢هـ / ٨م، أما في القرن ٣هـ / ٩م فقد ظهر له رواد وصار له نظام متكامل من الناحية العملية، كما صار له أساتذة وتلاميذ وقواعد^(٦)، والصوفية تيار فكري، أصبح له حشود وشارك بنصيب وافر في الحركات الفكرية منذ ذلك القرن، وأضحت الفرق الصوفية أشبه ما تكون بالأحزاب، ولكل فرقة مبادئها وشيخها وأتباعها، وأصبح التصوف جماعيا، كما أصبح الصوفية يشكلون طبقة في المجتمع الإسلامي لها خصائصها ومراكزها الخاصة^(٧). وانتشرت هذه الطرق في البلاد الإسلامية في القرن ٦هـ / ١٢م، وأنشأت لها زوايا خاصة بها، وأصبحت الزوايا من مباني الصوفية، وساعد على انتشار منشآت التصوف ما يجده الناس داخلها من موارد الحياة الرغدة المعتمدة على أحباسها (الموقوفة عليها) كما ساعدت الظروف التي عاشها القرن ٥هـ / ١١م على ازدهار التصوف، فقد سادت فيه المنازعات في النواحي السياسية والدينية والعلمية^(٨). وفي بلاد المشرق أنشئت "الخانقاه" كدار لتعبد الصوفية منذ نهاية القرن ٤هـ / ١٠م و عم انتشارها في القرن ٥هـ / ١١م، ولم تكن تؤدي وظيفة المسجد الجامع بإضافة المئذنة والمنبر لها، أما في بلاد المغرب فقد قامت "الزاوية" مقام "الخانقاه" في الوظيفة، وكانت الزوايا الأولى تجمعات دينية

4 - المرجع نفسه، ص ١٨٦.

5 - مقابلة شخصية للباحث مع الفقيه الكبير على بيت المال الذي يلقى دروسه بالمسجد يوم الجمعة.

6 - محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية في العمانر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، دار الوفاء الإسكندرية ص ص ٨٥، ٨٠.

7 - دولت عبد الله، معاهد تركية النفوس في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي، مطبعة حسان ١٩٨٠ ص ص ٣٣-٣٩.

8 - محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص ص ٨٦، ٢١٩.

في المساجد الجامعة، ينزوي فيها للدروس من يتلقون حول الشيخ، وتطورت الزوايا مع الزمن ليصبح لها طابع عقائدي سياسي^(٩) وحيث أن الزاوية كانت مقرا للشيخ المنقطع للعبادة مع مرديه، فقد أصبح مثلها مثل "الخانقاه" و"الرباط". ولكن وجه الخلاف أن الزاوية مخصصة لشيخ أو طريقة صوفية بعينها، فهي تقوم بدور تخصصي في التصوف، وكان بها مسجد صغير لإقامة الصلوات ولكن لم يكن بأى منها خطبة^(١٠). وبالإضافة للزوايا المستقلة، فقد ألحقت الزوايا والأضرحة بالمساجد والجوامع في مدينة مصراتة، وتكررت هذه الظاهرة في أكثر من منشأة فيها، فقد ألحقت زاوية صغيرة بجامع الشيخ أحمد الزروق (ق ١٢ هـ / ١٨ م)، والحق ابن غلبون زاويته بجامع محمود خازندار (ق ١٢ هـ / ١٨ م) وألحقت زاوية ابن نصر بجامعهم (ق ١٣ هـ / ١٩ م) وألحقت زاوية المحجوب بجامعه (ق ١٧ / ٥١١ م) وألحقت زاوية الشيخ فتح الله بجامعه (ق ١١ / ١٧ م). وظاهرة إلحاق الزاوية أو الضريح أو كلاهما بالمنشأة الإسلامية سواء كانت مسجدا أو مدرسة انتشرت بعد انتشار ظاهرة التصوف في العالم الإسلامي (منذ ٦ هـ / ١٢ م) في كل من العراق والشام ومصر^(١١) وانتقلت هذه الظاهرة إلى بلاد المغرب الإسلامي بما فيها ولاية طرابلس الغرب، حيث أخذت الزوايا في الانتشار، وأصبح يؤمها الطلاب المریدون لتنظيم حلقات الذكر والدراسة^(١٢) ومن الزوايا المستقلة بمصراتة زاوية المنتصر (شكل ٨) وكانت زاوية تعليمية مكونة من أروقة و خلاوى و صحن ومنافع^(١٣)، وزاوية الشيخ المدني (ق ١٣ هـ / ١٩ م) "أعيد بناؤها" ولم تنل شهرة على المستوى المحلي لارتباط الطريقة المدنية بالجهات الرسمية العثمانية^(١٤) أما تأثير ظاهرة إلحاق الزاوية بالجامع في مصراتة فهو واضح في تخطيط منشآت المدينة، وذلك بإضافة رواقين أو أكثر حول صحن مكشوف وقد يكون مشتركا بين الجامع والزاوية، وتفتح على الرواقين خلاوى للصوفية، وتقترب مساحة الزاوية

⁹ - محمد عبد الستار نظرية الوظيفية ٨٥، ٨٠، ١٦٦، دولت عبد الله، المرجع السابق ص ٥٢.

¹⁰ - محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية ص ١٨٨، ١٩٩.

¹¹ - عبد القادر الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية وآثارها في سوريا، دمشق ١٩٧٩، ص ص ١٥٤، ١٩٩.

سعدي الدراجي، زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، منشورات اللجنة الاجتماعية زليتن ٢٠٠٣

¹² - ص ص ١٠٣، ١٠٤.

¹³ - موسوعة الآثار الإسلامية، ج ١، ص ١٧٣.

¹⁴ - الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى ص ١١٨، رقم ١٦، المجموعة الثامنة عشر (ترجمة مصطفى محمود بادي وعلى الصادق حسنين) الطبعة الأولى، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ١٩٩٦، ص ٦٥-٧١.

الملحقة بالجامع من نصف مساحته الأصلية ، كما نراه واضحا فى زاوية الشيخ الزروق الأولى (٨ × ٥ م ٢) والجامع نفسه (١١ × ١٦ م ٢) ، وفى مجمع الشيخ فتح الله مساحة الزاوية (١٠ × ٧,٥ م ٢) والجامع نفسه (١٥ × ٢,٥ م ٢) ، وزاوية ابن غلبون (١٠ × ٧,٥ م ٢) وجامع الخازندار الملحقة به (٩,٥ × ٨,٨ م ٢) وقد انفردت زاوية المحجوب بأن مساحتها تزيد قليلا عن مساحة الجامع نفسه ، فمساحتها نحو ٢٤٠ م ٢ والجامع نفسه نحو ٢١٠ م ٢ وقد أثرت تلك الظاهرة فى العناصر المعمارية وذلك بإضافة وحدات الزاوية مثل قاعة التدريس و الخلاوى والأروقة الى المنشآت الدينية ، ومن ثم تعددت مداخلها ونوافذها ، كما غيرت من مداخلها أحيانا ، حيث أصبحت تفتح على صحن مشترك بعدما كانت تفتح على الشوارع مباشرة (ابن غلبون ، جامع يدر) كما اثر إغلاق بعض النوافذ على إضاءة وتهوية المساجد بعد إضافة الزوايا إليها وبخاصة أن الأسقف منخفضة كما فى جامع يدر (زاوية الأغا). أما ظاهرة إلحاق "الضريح" بالمنشأة الدينية فى مصراتة فقد وجد فى ٦ منشآت من بين ٨ منشآت باقية ، بالإضافة الى ما ألحق بمدرسة مستقلة (ضريح الشيخ الزروق) والتي أنشأها العثمانيون بجوار ضريحه^(١٥) ، ولم يستثن من ذلك سوى جامع الشيخ بوسط المدينة والذى لم يلحق به زاوية أو ضريح ، وجامع بن نصر ، والذى ألحقت به زاوية دون ضريح^(١٦) ، وترجع أسباب هذه الظاهرة الى ازدياد أضرحة المرابطين والفقهاء بجانب مشايخ الطرق الصوفية ، وزيادة عدد المتباركين بهم والراغبين فى تخليد ذكراهم عن طريق إلحاق قبورهم بجوار حلقات الدرس التى كان يعقدها تلاميذهم من بعدهم فى الجوامع والزوايا^(١٧) وقد أضاف إلحاق الضريح للمنشأة مساحة مربعة أو شبة مربعة التخطيط ، تقوم عليها القبة الضريحية ، سواء أقامت على المنشأة كما فى مجمع المحجوب (شكل ٣) أو كانت دخيلة عليه مثل منشآت الخازندار (شكل ٥) . و الشيخ أحمد الحسن الشريف على جامع يدر (شكل ٧)^(١٨) وتكرر ذلك فى إلحاق ضريح الشيخ المدني بزوايته^(١٩) . وكان إدخال الأضرحة على نظم المساجد أو المدارس أن

15 - ابن غلبون ، التذكار ، ص ص ٢٦٣ ، ٢٢٥ .

16 - على جهان ، المرجع السابق ، ص ص ١٩١ ، ١٩٠ .

17 - محمد يوسف نجم ، إحسان عباس ، ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات ، دارصادر بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٠٧ .
٨٤ - على جهان ، المرجع السابق ص ١٧٨ ، والشيخ احمد الحسن الشريف يرجع أصله لبلاد المغرب حيث يرجع نسبه لإدريس بن عبد الله ، وارتحل طرابلس لطلب العلم ثم عاد لمصراتة وتولى التدريس بزواية الأغا (جامع يدر) حتى وفاته ودفنه ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م ، المرجع نفسه ص ١٧٨ ، ٢٤٠
٨٥ - ولد الشيخ محمد المدني بالمدينة المنورة ، وتلقى علومه على علمائها ثم غادرها عام ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م ، وارتحل الى المغرب الأقصى وأخذ عن المختار القادري الطريقة الشاذلية ، ولما أجازته شيخه عاد للمدينة ليدعو للطريقة هناك فتنلمذ عليه مريدون منهم الشيخ احمد الرفاعى شيخ =

أصبح الغرض الوظيفي من بناء المسجد مزدوجا، وأصبح المسجد يضم الى بيت الصلاة ضريحا وكان لذلك تأثير مباشر على اختصار بيوت الصلاة^(٢٠) وإذا كان هذا الأمر معروفا في الطرز المعمارية في شرق العالم الاسلامي، فإنها في الطراز المغربي والمعروف في مصراتة لم يكن له نفس الدرجة من الذبوع، ذلك انه من بين ٥ منشآت دينية ألحقت بها أضرحة بالمدينة، لم تقل مساحة بيت الصلاة بسبب وجود الضريح إلا في منشأة واحدة وهي "جامع المحجوب" والذي أقحم ضريحه على احد أروقة بيت الصلاة، أما باقي الأضرحة فقد ألحقت مساحتها بجوار جدران المنشآت، وكان ذلك بجوار الجدار الشمالي الشرقي كما في ضريح ابن غلبون (٦،٢٥ م ٢)، أو بجوار الجدار الجنوبي الغربي كما في ضريح الشيخ فتح الله (٦ م ٢)، أو بجوار الجدار الشمالي الغربي كما في ضريح الحسن الشريف (٥،٥ م ٢) بجامع يدر .

٣- الحالة السياسية والاقتصادية: لقد كان للعوامل السياسية والاقتصادية أثر على المنشآت الدينية بمدينة مصراتة وبخاصة في العصرين العثماني القرمانلي، فمن الناحية السياسية اختار العثمانيون في فترة حكمهم الأولى ٩٨٠-١١٢٣هـ/ ١٥٥١-١٧١١ م) مدينة الخمس^(٢١) عاصمة للصنجدية (المتصرفية) العثمانية مما أثر على ازدياد الاهتمام العمراني بها منذ نشأتها في القرن ١١هـ/ ١٧م، وحتى أواخر العصر العثماني الثاني^(٢٢). والوالي احمد باشا ولم تحظ مصراتة بنفس المكانة التي كانت للخمس في ذلك العصر، فلم تشيد بمصراتة عمائر على الطراز العثماني الوافد، ولم تلحق بمنشآتها تأثيرات من العناصر المعمارية أو الزخرفية العثمانية مثل تلك التي وجدت بمنشآت الخمس، وإنما أثر المعمار المصراتي الطراز المغربي المحلي على غيره^(٢٣)، ولكن في فترة العصر العثماني الثاني (١٢٥٠- ١٣٣٠ هـ/ ١٨٣٥-١٩١١ م) زاد اهتمام العثمانيين بمدينة مصراتة، ومن مظاهر ذلك: أمر السلطان عبد الحميد ببناء مدرسة بجوار ضريح الشيخ احمد الزروق^(٢٤)، والتي ظلت عامرة تؤدي رسالتها حتى قبيل فترة الاحتلال

=الرفاعية ثم قفل للمغرب حتى وفاة شيخه، واستقر بعد عودته بمصراتة واتخذها مكانا لنشر طريقته
.... عن علي جهان ص ص، ٢٣٤، ٢٣٣

٢٠- محمد عبد الستار، الوظيفية، ص ٢٦٠، احمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني، العصر الايوبي، ١٩٦٩، ص ص ٨٨، ٨٩.

٢١- الخمس إحدى مدن الساحل الليبي تقع غرب مصراتة بنحو ٩٠ كم، وكانت من المدن التي ازدهرت على طريق التجارة والحج، رأفت غنيم الشيخ تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٧٢م، ص ٢١.

٢٢- رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص ٢١.

٢٣- انظر؛ على مسعود البلوشى، تاريخ معمار المسجد الليبي، ص ص ١٥٢، ١٤٠.

٢٤- الحشائشى، جلاء الكرب، ص ١٠٤.

الايطالي (٢٥) وتلبية لطلب الشيخ ابن غلبون سنة ١١٣٩ هـ/ ١٧٢٦م، قام أحمد باشا القرماني (١١٢٣-١١٥٨ هـ/ ١٧١١-١٧٤٥م) بإصلاح زاوية الشيخ الملحقة بجامع محمود خازندار على أثر إعصار أصابها^(٢٦) فأقام الوالي ما دثر منهما. أما من الناحية الاقتصادية، فإن من أهم مظاهر تأثيرها على المنشآت الدينية بمصراته، ما أقدمت عليه السلطات العثمانية من إعفاء الأحياس على بعض المنشآت من الضرائب (كمنشأة الزروق والمحجوب وزاوية الشيخ المدني) ومن وضع نظام خاص لحماية هذه الأحياس، وأصدرت بذلك عدة فرمانات سلطانية^(٢٧). ولا شك أنه منذ ظهور نظام الأحياس (الأوقاف) في العالم الإسلامي، اندفع الوازع الديني بالأمرء والمقتدرين من الناس إلى بناء العمائر الدينية المختلفة، وكان هذا الوازع نفسه سببا في إتباع نظام حبس العقارات والأراضي التي ينتفع بغلتها في الصرف على صيانة تلك العمائر^(٢٨)، وبالنسبة لمصراته فكان كلما زاد عدد سكانها وتكاثر روادا المساجد والزوايا، تكاثرت أوقافها وأصبح لها دخل ثابت، فمثلا نجد زاوية المنتصر (مندثرة) أوقف عليها مؤسسها عدة بساتين وقام خلفاؤه وأحفاده بتنمية هذا الوقف والإشراف على الزاوية^(٢٩) ولكن مما يؤسف له أن معظم وثائق الأحياس، والتي كانت محفوظة بمنشآتها حتى قبل الغزو الايطالي (١٩١١م) قد فقدت أو نقلت الى ايطاليا أثناء الاحتلال^(٣٠).

ويتضح الأثر البالغ للنظرية الاقتصادية في العمارة كمطلب أساسي، فكانت التجارة مثلا من العوامل الهامة المؤدية لنشأة العمائر، وبقدر ازدهار المدينة اقتصاديا، فينعكس ذلك على منشآتها^(٣١) وعلى أثر نشاط حركة التجارة في العصر القرماني والعصر العثماني الثاني، في الميناء التجاري بمصراته، وجدنا أن معظم ما تبقى من منشآت سابقة على هذين العصرين، قد أعيد بناؤها كمنشآت الزروق، بن غلبون (الخازندار) ويذر، أو تم إنشاؤها كزاوية المنتصر وزاوية المدني، أو أضيف الى مساحته كجامع الشيخ محمد بن عبد العزيز.

وقد ذكر بعض الباحثين (نقلا عن روايات كبار السن) أن امرأة من " آل القويرى " إحدى عائلات قبيلة مصراته قد تبرعت بأرض جامع " بن نصر " في قرية أولاد "بعيو"

٢٥ - احمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، القاهرة ١٩٧١، ص ٢٧٣.

٢٦ - ابن غلبون، التذكار (تحقيق الزاوي) ص ٢٧٠، ٢١.

٢٧ - الوثائق الايطالية، المجموعة الأولى (ترجمة شمس الدين بن عمران)، مركز جهاد الليبيين، طرابلس ١٩٦٩، ص ١٢٢، ١١٧.

٢٨ - فريد شافعي، العمارة العربية، ص ٢٥٩.

٢٩ - علي جهان، المرجع السابق، ص ١٧٤.

٣٠ - مختار الهادي بن يونس، من الوثائق المطوية وثيقة زاوية آل عمار، مجلة الوثائق والمحفوظات، العدد الرابع، ١٩٩٠م، ص ٣٦٦.

٣١ - انظر: محمد عبد الستار المدينة الإسلامية ص ٨٨.

غربي مركز مصراته بنحو كيلو متر واحد، واشترك في تأسيسه أهل المنطقة^(٣٢)، وكان محمود الخازندار المسئول المالي في عهد الوالي محمد الحداد (١٠٨٩-١٠٩٠هـ/١٦٧٨-١٦٧٩م) قد جمع ثروة كبيرة أنفقها في أعمال البر، ومن أعماله بناء خمس مساجد في أماكن متفرقة من ولاية طرابلس الغرب، كان من بينها مسجده "بقريّة الشروع" بقصر أحمد بمصراتة^(٣٣). وكان الدافع الاقتصادي قد أثر بطريق غير مباشر على بعض المنشآت، ومن ذلك أن اعتبار المنشآت الدينية موضع فخر بالنسبة للمنشئ بالإضافة لإبراز مكانة الشيخ الروحية، قد دفع بعض الأغنياء من الناس للقيام بذلك^(٣٤). ورغم ذلك كله، فقد ذكر المستشرق الإيطالي "ميساننا" أن "ليبيا" ليست أرضا للنشاط الفني، وأنها في فترة لم تكن تثير اهتمام أهل الفن^(٣٥) وعلى العكس من ذلك، فإن ما سقناه من أدلة تاريخية وشواهد أثرية يثبت أن تلك الفترة كان ازدهار الحالة الاقتصادية لمدينة مصراتة قد انعكس على منشآتها المعمارية.

٤- **وظيفة المنشأة ورغبة المنشئ**: تنوعت المنشآت الدينية في مدينة مصراتة، كما تنوعت وظائفها، ويعتبر المسجد الجامع (العالي) الأساس الأول لهذه المنشآت والتي انبثقت وظائفها من وظائف المسجد العالي نفسه تلبية لحاجات المجتمع الدينية والتعليمية. ولكون الخطبة بالمسجد الجامع والدعاء للحاكم القائم بعد الخطبة على منبره شارة من شارات الملك، وحيث أن الصلاة الجامعة (خاصة الجمعة) من أهم الوظائف التي يقوم بها المسجد الجامع، فقد راعي المعمار ذلك بحيث أضحت الوظيفة من بين العوامل الرئيسية المؤثرة على المعمار^(٣٦).

ولم تؤثر الوظيفة فقط في اختلاف التخطيطات للمنشآت ولكن أيضا في وحداتها وعناصرها المعمارية، فمن حيث التخطيط، نجد مثلا أن منشآت (الزروق - المحجوب - فتح الله - الشيخ - يدر - محمود خازندار) قد اختلفت تخطيطاتها بسبب تعدد وظائفها وظروف نشأتها، وان كانت جميعا لتقي بالأغراض التي أنشئت من أجلها طالما توافرت لها الأسباب المؤدية للقيام بوظائفها.

فإذا ما انتقلنا لوظيفة الزاوية؛ فهي مؤسسة أنشئت أصلا للدراسات الدينية، أو للشيوخ ومريديهم، فمن الطبيعي أن يكون لها دور في تطور المدينة وتخطيطها فقد شجعت الناس على الاستقرار والعمل والتجارة^(٣٧) ومن ثم تباينت وظائفها، فمنها ما احتفظ

٣٢ - علي جهان، المرجع السابق ص ١٩١، ١٩٠.

٣٣ - ابن غلبون التذكار ص ١٧٩، ١٨١، موسوعة جزء أول، ص ٧٤.

٣٤ - تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٨، ص ٧٩، ٧٨.

٣٥ - غاسبري ميساننا (ترجمة على الصادق حسنين) المعمار الإسلامي في ليبيا، طرابلس ١٩٧٤، ص ٥٧.

٣٦ - محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص ٢١٠، الوظيفة، ص ٢٠١-٢٠٧.

٣٧ - دولت عبد الله، المرجع السابق، ص ٥٦، سعدى الدراجي، أضرحة زليتن، ص ١٦٢.

بالتابع الدينى الأول فشابهت المدارس فى مهمتها أى كانت زوايا تعليمية^(٣٨). مثل زاوية المنتصر (مندثرة) وزاوية ابن غلبون. ومثلما كان التداخل فى الوظائف بين المنشآت الدينية فى المشرق الإسلامى أمرا عاديا , وذلك لصلاحية المنشأة الدينية لمختلف الاستخدامات كالشعائر والتدريس والتصوف^(٣٩), فقد أصبح كذلك فى بلاد المغرب الإسلامى أيضا , فأصبحت منشآت التصوف وبخاصة الزوايا من التكوينات المعمارية الدينية , والتي بالإضافة لوظيفتها الأساسية , تستخدم كمساجد , وعند إلحاقها بالمساجد الجامعة - كما نراه فى أمثلة كثيرة بالبحث - فإنها تؤدى وظيفتها ضمن وظائف المنشأة المتعددة والمعروفة "بالمجمعات المعمارية "

وقد عرف نظام "المجمعات الدينية" فى عصر السلاجقة , والمجمع منشأة معمارية مركبة من عدة وحدات , ولكل وحدة وظيفتها فتشتمل على مسجد ومدرسة وقبة ضريحية^(٤٠), وكان الضريح قد الحق بالمنشأة الدينية وبخاصة المدرسة منذ أواخر القرن ٥ هـ/ ١١م, فى الشام والعراق , ومعظم هذه المنشآت تضم ضريحا أو أكثر , وقد روعي فى وضعه أن ينحصر فى ركن من الأركان وان يحتل من البناء موضع من مواضع منافعها العامة , وأصبحت هذه الظاهرة متبعة فيما بعد فى جميع البلاد الإسلامية^(٤١) وبعدها أجاز الفقهاء بناء القباب على قبور أولياء الله الصالحين , كما أجازوا إلحاق منشأة دينية بالضريح إذا كان حوله وفى ملك الباني , ولما كان التحريم الظاهر فى بداية عهد الإسلام للقباب على القبور سببه الخوف من التزلف الشديد لها وخشية اتخاذها قبلة عند الصلاة فيكون خارجا عن النهى القبر ملاصقا لجداره الغربى , وقد كان لهذا الحكم أثره فى تخطيط زوايا إفريقية^(٤٢) وقد سارت أضرحة مصراتة على هذا النهج , فلم يوضع ضريح واحد منها فى اتجاه القبلة بالنسبة للمنشأة الملحقة بها بل كان الضريح إما بجوار الجدار الغربى (المحجوب - فتح الله - حسن الشريف بيدر - الشيخ المدنى بزويته) أو بجوار الشمال الشرقى (ابن غلبون فى جامع خازندار).

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام تبين المميزات المعمارية المغربية فى منشآت هذه المدينة وهى انه إذا كان إنشاء الضريح فى المشرق "أحيانا" نواة أساسية لإنشاء كثير من المنشآت الدينية , بإلحاق تلك المنشآت به^(٤٣), فان الأمر ليس كذلك فى المغرب الإسلامى , فلم يوجد بين أضرحة مصراتة - أو أضرحة ولاية طرابلس الغرب عموما

^{٣٨} - دولت عبد الله , المرجع السابق , ص ٥٤ .

^{٣٩} - محمد عبد الستار, الوظيفية , ص ص ١٦٦ , ١٦٧ .

^{٤٠} - على الطائش , طرز المساجد السلجوقية , ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى , دار

طبية للطباعة , القاهرة ١٩٩٩ م ص ٢٢٩ .

^{٤١} - أحمد فكرى , خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى .

^{٤٢} - محمد عبد الستار, الوظيفية , ص ص ١٠٨ - ١١٠ .

^{٤٣} - المرجع نفسه ص ١٠٧ .

– ما أنشئ أو لا ليكون نواة لإنشاء جامع أو مدرسة أو زاوية حوله بل كان العكس دائما هو الصحيح بإلحاق الضريح بأحد هذه المنشآت .
وقد توقفت الوظائف التي كان يؤديها المبنى لا على شكله المعماري فحسب بل على ما يريده المنشئ أن يؤديه مبناه من وظائف , خاصة أن التصميم المعماري للمسجد أو الزاوية بمصرارة يمكن أن يؤدي وظائف متعددة , ولذلك نرى أن زاوية "بن عامر" بالرغم انه أطلق عليها اسم زاوية إلا انه يعد تجاوزا بمعنى أنها أسست كمسجد وجاء في نص تأسيسها أبيات من الشعر جاء فيها :

بناء هذا المسجد كان بعون الصمد
تاريخه بذى جزى بن عامر محمد (٤٤)

وكان جامع يدر قدا طلق عليه تجاوزا (زاوية الأغا) لان عائلة الأغا زعماء مصرارة المحليين آنذاك أسسوه من البداية كمسجد جامع , وما أعطاه صفة زاوية إلا حلقات العلم التي كانت تعقد فيه , وشاع بين الأهالي أن المكان الذي تعقد فيه دروس العلم اسم زاوية (٤٥) وكذلك أنشئ جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز على مسافة قريبة من زاوية المنتصر (شكل) وكأنه أسس ليكون مقرا لدراسة المراحل المتقدمة لهذه الزاوية , حيث ينهى الطلبة دراستهم الأولية بالزاوية ثم يلتحقون بحلقات العلم في الجامع (٤٦) ولذلك فرق الباحثون المتخصصون في العمارة الإسلامية الليبية في دراساتهم وأبحاثهم بين مسميات عامة أطلقها الأهالي على المنشآت الدينية (كالزوايا) وبين ما هو في الواقع من مساجد أو جوامع لها وظيفتها وتخطيطها المعماري المعروف (٤٧) .

ونخلص من ذلك التحليل، إلى أن وظيفة المنشأة والمرتبطة برغبة المنشئ أو الواقف ، كان لها أكبر الأثر في تحديد عمارة المنشأة وتخطيطها وعناصرها ووحداتها المعمارية ، فكل من (المسجد الجامع "العالى" الزروق ، خازندار، فتح الله، المحجوب، الشيخ محمد، ، يدر) ، إنما تعبر عن تطابق الوظيفة ورغبة المنشئ ، مع تخطيط المنشأة وعناصرها ، فهي جميعا ذات مساحات متسعة بالنسبة لمحلاتها في فترات إنشائها ،

^{٤٤} – محمد مفتاح قريو ، المرجع السابق ص ص ١٠١، ١٠٢ ، وكان هذا الجامع قائما حتى بداية السبعينات من القرن الماضي ، وأزيل مع غيره من المنشآت الدينية في التطوير الحديث ، وجد ير بالذكر أن تاريخ إنشائه بحساب الجمل هو بذى = ٧٠٣ + جزى ٢٠ + بن = ٥٢ + عامر ٣١١ + محمد ٩٢ – ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م .

٤٥ – على جهان ، المرجع السابق ص ١٧٧ .

٤٦ – المرجع نفسه ، ص ١١٢ .

١١٣ – انظر صلاح البهنسى ، طرابلس الغرب ، دراسات في التراث المعماري الفني ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ٢٠٠٤ م ، مسعود رمضان شقوف وآخرون ، موسوعة الآثار الإسلامية ، مصلحة الآثار طرابلس ١٩٨٩-١٩٩٢ ف، على مسعود البلوشى ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرماني طرابلس ٢٠٠٧ .

وبكل منها منبر ومئذنة (أو درج يقوم بوظيفتها)، وتتعد بها جميعاً منذ إنشائها صلاة الجمعة والجماعات، برغم إنشاء زوايا بأربع منها (خازندار، فتح الله، المحجوب، بيدر).
٥- العوامل البيئية والمناخية: كان للعوامل البيئية وفي مقدمتها "المناخ" تأثيرها في أشكال العمائر وتفصيلها، وما يتطلبه ذلك من إعدادها لمقاومة البرد والمطر في الشتاء أو دفع الحرارة والرطوبة في الصيف بالنسبة لمصراته. وتخضع المدينة لنظام يجمع بين "مناخ البحر المتوسط" من ناحية والتأثر بالمناخ الصحراوي من ناحية أخرى، ولكن لها مميزاتها المناخية الخاصة، ومنها درجة الحرارة المعتدلة، ومتوسطها على مدار العام هو ما بين (١٣:٢٧ درجة مئوية) ومتوسط الرطوبة النسبية ما بين (٥٦ : ٧٢ %)، أما الرياح فمعظمها شمالية إلى شمالية غربية كما تهب على المدينة رياح جنوبية حارة أواخر الربيع وأوائل الصيف، ويتركز موسم الأمطار في فصل الشتاء وتؤثر كمية الأمطار على تخطيط الشوارع وإقامة المنشآت^(٤٨).

من حيث تأثير المناخ على التخطيط، نجد أن معظم المنشآت المصراية - موضوع الدراسة - تم تخطيطها دون صحن أو بصلن ضيق المساحة، كما أن تلك المنشآت التي يوجد بتخطيطها صحن قد أغلق رواق الصلاة كما ضيقت مساحات الفتحات به من جهة الصحن ونجد ذلك في منشآت؛ الزروق، خازندار، بيدر، المحجوب، فتح الله، بن نصر "كما ألغى الصحن وحل محله بلاطات كجزء من توسعة بيت الصلاة في "جامع الشيخ" أو غطي الصحن كما في "زاوية المدني" بعد إعادة بنائها.

ومن حيث أشكال الأسطح فقد كان تأثير المناخ عليها واضحاً، فانه يراعى في معظم المناطق ذات الحرارة المنخفضة أن ينخفض ارتفاع الأسقف للمساعدة على الاحتفاظ بالدفء داخلها^(٤٩) وقد وجد هذا الأسلوب من قبل في المساجد السلجوقية بالأناضول حيث تأثر تخطيطها بالجو شديد البرودة شتاء^(٥٠) ولذلك فقد لجأ المعمارون إلى غلق واجهة ظلة القبلة المشرفة على صحن المسجد والدخول إليها عبر فتحات^(٥١).

وقد اتسمت معظم المنشآت الدينية بمصراية بأنها مسقفة بالأقبية أو القباب، ولم يستثنى من ذلك سوى بعض الوحدات المعمارية الملحقة بها، كالأرواق وخلويها، وكان عامل المناخ من أهم الأسباب التي دفعت المعمار إلى الإكثار من القباب، والتي لها ميزات أخرى متعددة منها عدم تعرض أسطحها بالكامل لأشعة الشمس خلال نهار الصيف، ولنشاط حركة الهواء ما بين جزئها المظلل الداخلي والجزء المشمس

٤٨ - مصباح عاشور، المرجع السابق، ص ٣٧، ٤٤.

٤٩ - فريد شافعي، العمارة العربية، ص ٢٣٣.

٥٠ - عبد القادر الريحوى، العمارة في الحضارة الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ص ٢٠٠.

٥١ - على الطايش، المرجع السابق، ص ٢١٦.

الخارجي^(٥٢) كما أن وجود القباب والأقبية للحماية من مياه الأمطار قد ساعد على وجود مصدر من أهم مصادر المياه بالمدينة، وذلك بتجميع المياه الناتجة عنها من فوق أسطح المنشآت وتجميعها في "مواجل" أرضية عبر الميازيب^(٥٣) والتي تخدم الوظائف المتعددة لتلك المنشآت. كما لعب العامل المناخي دورا هاما في إشكال مداخل العمائر، من حيث ضيق فتحاتها المواجهة للشمال أو الشمال الغربي لتعرضها لهبوب الرياح الباردة، وينسحب الأمر نفسه على فتحات النوافذ. وبصفة عامة فإنها تميزت بصغر الحجم وعدم البروز، وبغية الحد من ارتفاع فتحاتها، جعلها المعمار معقودة أو ذات أعتاب حجرية قوية لتخفيف النقل عنها^(٥٤). كما كان لتوفر مواد البناء بمصراتة؛ أن استخدم المعمار في معظم هذه المنشآت الدعائم والركائز المبنية بكافة أشكاله، فهناك الدعائم المدمجة بالجدران الحاملة والمدعمة لها، وهناك الدعائم الحاملة للعقود الموازية أو العمودية على جدار القبلة، وهناك الدعائم الخارجية في أركان البناء لتساعد على تحملها لقوة الدفع الواقعة عليها من القباب أو الأقبية، وكذلك دعائم بارزة لداخل أو خارج جدار القبلة عند منطقة المحراب لكي يوضع داخلها المحراب الجوف. وتأثير البيئة على عمارة مصراتة، له أوجه شبه عديدة مع غيرها من المدن العربية وبخاصة المتشابهة معها في الموقع أو المناخ مثل مدينة "ظفار" العمانية، فقد استخدم الحجر غير المروم في بناء منشآتها، بحيث تبنى المداميك بهذه الكتل غير المرومة ويسوى سطحها بقطع صغيرة من الحجر تساعد على تمهيد المستوى للمدماك التالي وهكذا اتضحت عملية البناء في مداميك منتظمة بالرغم من استخدام كتل حجرية غير مرومة^(٥٥) وقد غلب في منشآت مصراتة الدينية استخدام الحجر في البناء، بحيث أن ندرة الطمي الذي يؤخذ منه اللبن ومن ثم الآجر، أدى لسيادة البناء بالحجر المتوفر في البيئة الليبية، خاصة الحجر الجيري.

وتدخلت العوامل البيئية كذلك في تلك المنشآت بشكل مباشر، حيث تمتد الكثبان الرملية في المدينة في حزام شمالي وشمالي غربي على شكل شريط موازي للساحل، وتتألف رواسب الكثبان من رمال متوسطة ناعمة وبلورات من الجبس، ويرجع تكوينها الى عامل الإرساب بفعل الرياح في ظروف مناخية جافة^(٥٦) كما كان لتوافر المياه في المدينة سببا في قيام هذه المنشآت بوظائفها، للوفاء بحاجة المصلين للوضوء، أو حاجة المتصوفة

^{٥٢} - بدر الدين الخولي، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، جامعة بيروت العربية ١٩٧٥م، ص ٣٤.

^{٥٣} - مصباح عاشور، المرجع السابق، ص ٤٣.

^{٥٤} - أحمد قاسم الجمعة، المرجع السابق، ص ٤٣.

١٢١ - محمد عبد الستار، مدينة ظفار تطورها العمراني وملاحمها المعمارية، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، نوفمبر ديسمبر ١٩٩٨م، دار طيبة للطباعة ١٩٩٩م، ص ٢٧.

⁵⁶ - Booklet, (Explanatory) for the Geological Map of Libya Sheet, Musratah, Industrial Research Center, Tripoli 1975, p 31.

المقيمين في الزوايا الى غير ذلك، وكان اجتماع الظروف الجغرافية الملائمة لحركة النشاط العمراني اثر كبير في سهولة إيصال الماء الى جميع المنشآت العمرانية بالمدينة .
ب- **أنماط التخطيط المعماري**: إن جوهر العمارة يتمثل أولاً وقبل كل شيء في التخطيط العام للمنشأة وفي توزيع وحداتها الرئيسية التي يتكون منها ذلك التخطيط^(٥٧) وقد انقسمت أنماط التخطيط المعماري في المنشآت الدينية بمصراته - ووضوح الدراسة - الى أربعة أنماط تتشابه في بعض الأوجه وذلك لانبثاقها من أصل الطراز المغربي ، والذي يعود بجذوره الى جامع عقبة بالقيروان (٥٠هـ / ٦٧٠ م) والذي تطور عبر مراحل عدة من خلال العصور الإسلامية التي مرت على ولاية طرابلس الغرب وفي القلب منها ولاية مصراته .

ويرجع هذا التشابه لعدة أسباب ؛ اتضح من خلال الدراسة التحليلية أن منها :عدم توفر الأخشاب الجيدة التي تساعد على تغطية مساحات متسعة يفترض أنها تتشا عن التخطيط ، وعدم وجود محاجر جيدة تساعد على تنفيذه ، وندرة الطين الجيد الذي يستعمل في عمل الآجر مما جعل تأثير مواد البناء على المعمار كبير في هذه المدينة . وقامت الفكرة الرئيسية للمسجد الجامع بمصراته (الجامع العالي) على نفس فكرة الجامع النبوي بالمدينة والتي تقوم على مسقط مكون من صحن أو وسط مكشوف وظلات حوله في الجوانب الأربعة ، أكبرها ظللة القبلة ، والذي كان نموذجاً ، احتذاه المسلمون وساروا على تخطيطه في مساجدهم الجامعة سواء في المشرق أو المغرب^(٥٨) .
وتم تقسيم رواق القبلة الى عدة بلاطات عن طريق البائكات المعقودة ليسهل تغطيتها ، ووجد هذا النموذج التخطيطي طريقه الى نوعين من المنشآت الدينية بالمدينة؛ الجامع والزاوية. ولم توجد مدارس بمصراته نظراً لقيام الزاوية فيها وكذلك الجامع بوظيفة المدرسة .

وبصفة عامة سار النظام التخطيطي للجامع في مصراته على نهج المسجد الجامع بالقيروان من حيث الصحن المكشوف ورواق القبلة المقسم الى بلاطات سواء عمودية أو موازية أو عمودية وموازية لجدار القبلة في آن واحد ، وهي الأنماط التي يمكن تحليلها كما يلي ؛

١- **النمط التخطيطي الأول**: وهو عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة مكونة من صحن مكشوف ضيق ، ورواق الصلاة تم تقسيمه الى بلاطات عن طريق بائكات من العقود وتنتج عمودية على جدار القبلة ، وتمثل هذا النمط التخطيطي ، في كل من جامع الشيخ المحجوب (ق ١١هـ / ١٧ م) (شكل ٣) وجامع الشيخ محمد بن عبد العزيز (ق ١١هـ / ١٧ م) (شكل ٤) .

^{٥٧} - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ٤٥ .

^{٥٨} - المرجع نفسه ، ص ص ٦٧ ، ٦٨ .

كما كان تخطيط مسجد السور (ق ١٣هـ/١٩م) بنفس النظام المتعامد^(٥٩) وقد عرف نظام البلاطات العمودية على جدار القبلة منذ العصر الاموي , حيث نراه في تخطيط الجامع الأقصى المبارك الذي أعاد بناءه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ/٧٠٦م (١٠ بلاطات) ثم المهدي العباسي (١٥ بلاطة) ثم انتقل هذا النظام في التخطيط الى جامع القيروان بتونس (٥٠-١٥٠هـ/٦٧٠-٧٢٣م) (شكل ١٣) , ولجامع قرطبة في عهد الداخل ١٦٩هـ/٧٨٥م^(٦٠).

وقد استمر هذا النظام التخطيطي في العصور التالية ببلاد المغرب , وهو الذي فضله الموحدون على غيره من الأنظمة , حيث جاء توزيع مسار عقود البوائك في مساجد الطراز الموحدى الأول (عهد عبد المؤمن بن علي) في اتجاه عمودي على جدار القبلة , حيث اتخذت بيوت الصلاة في المساجد الموحدية من طراز الأقصى نموذجاً لها^(٦١) , وتؤدي البلاطات العمودية وظيفة هامة وهي أنها تساعد على عبور المصلى رواق القبلة منها بحيث لا يؤذى الباقين , ثم إنها توصل الى المدخل في خروج المصلى من اقصر طريق فيمنع تخطى رقاب المصلين^(٦٢) . وفي أول منشة عثمانية شيدت في ليبيا, وهو مسجد مراد أغا بتاجوراء (٩٦٠-٩٧٣هـ/٥٣-١٥٦٥م) .

أستخدم نظام البلاطات العمودية على جدار القبلة, والتي احتاجت ٢٣ قبو لتغطيتها^(٦٣) (شكل ١٢), وبرغم شيوع هذا النظام التخطيطي في عمائر الطراز المغربي الدينية , ومن بين مناطقه ولاية طرابلس الغرب في العصر العثماني إلا انه اقتصر على المساجد والجوامع دون الزوايا كما تذهب الى ذلك إحدى الدراسات الحديثة^(٦٤) في حين ترى إحدى الدراسات في العمارة الإسلامية في ليبيا, أن هذا الأسلوب جاء إحياء لتقليد معماري ميز المساجد التي تقع في جبال نفوسة والشريط الساحلي قبل العهد العثماني^(٦٥) ولكن هذه المساجد معظمها ضيق المساحة ولا يتعدى تخطيطه في العادة ٣ بلاطات وبسبب ارتفاع الجبل (١٨٥٠م) فوق سطح البحر, فقد اضطر المعمار لتغطيته

^{٥٩} - على مسعود البلوشى , تاريخ معمار المسجد في ليبيا , ص ٤٨١ مسقط ١٣ .
^{٦٠} - عبد العزيز سالم , العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها , مجلة عالم الفكر , أعيد نشره في بحوث إسلامية في التاريخ والآثار والحضارة ص ٢٩ , فريد شافعي العمارة العربية ص ٢٤٣ شكل ١٦٧ , محمد محمد الكحلوى , العمارة الدينية الإسلامية في الغرب الاسلامى , عمائر الموحدين الدينية في المغرب , رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الآثار , جامعة القاهرة ص ٣٦٠ .
^{٦١} - محمد محمد الكحلوى , عمائر الموحدين ص ص ٣٥٩, ٣٦٠ .
^{٦٢} - محمد عبد الستار , الوظيفة , ص ٢٧٩ .
^{٦٣} - على مسعود البلوشى , المرجع السابق , ص ٣١٣ .
^{٦٤} - سمير عبد المنعم , المرجع السابق , ص ٢٤٣ .
^{٦٥} - على مسعود البلوشى , المرجع السابق , ص ٣١١ .

بأقبية نصف برميلية سمكة من الحجر لتقاوم العوامل الجوية ،فاضطر الى التخطيط العمودي على جدار القبلة ،بل واقتصر الأمر أحيانا على بلاطة واحدة^(٦٦) (لوحة ٥٦).

٢- **النمط الثاني** :وهو عبارة عن مساحة مربعة أو مستطيلة ، مقسمة الى صحن مكشوف ورواق للصلاة تم تقسيمه الى بلاطات عن طريق بائكات من العقود موازية لجدار القبلة و تمثل هذا النظام التخطيطي في جامع الشيخ فتح الله بالرميلة ق ١١هـ/١٧م (شكل ٦) كما اتبع في عدة منشآت دينية (مندثرة) بمصراته أيضا ومنها مسجد زاوية المنتصر ق ١٢هـ/١٨م (شكل ٨) ،ومسجد الساعدية ق ١٣هـ/١٩م (شكل ١١) ومسجد صالح بن حمودة ق ١١هـ/١٧م (شكل ١٠)^(٦٧) . والمعروف أن أصول هذا النظام التخطيطي ترجع الى المسجد النبوي بالمدينة المنورة والذي أعاد بناءه الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢هـ/٧١١م ، والذي كان منتشرًا في الأمصار الإسلامية منذ العصر الأموي ومن أمثله الجامع الأموي بدمشق (٨٧هـ/٧٠٦م) ، وجامع القرويين بفاس ٢٤٥هـ/٨٥٩م ، وجامع الأندلسيين بفاس أيضا ٢٤٥هـ/٨٥٩م^(٦٨) ، والمثاليين الآخرين يرجعان للقرن ٣هـ/٩م ، حيث كانت الصلة وثيقة بين بلاد المغرب الإسلامي والخلافة العباسية في بغداد ، والذي ساد في عمائرها الدينية نظام الأروقة الموازية لجدار القبلة ومن ثم انتشر في البلاد التابعة لها . ويعتبر هذا النظام التخطيطي من الأنظمة الأقل شيوعا عن غيره بين منشآت مصراته الدينية ، برغم مناسبتها لانتظام صفوف المصلين داخل بيت الصلاة بشكل أفقي خلف الإمام وربما يعبر عن رغبة مسبقة من المنشئ أو الواقف في تغطية المنشأة بأقبية موازية تمشيا مع ذلك التخطيط . وقد كان نظام البلاطات الموازية لجدار القبلة والمقسم عن طريق البائكات الموازية ، من الملامح المعمارية لمساجد "ظفار" العمانية^(٦٩) ، ونظرا لتفضيل الطراز المغربي لنظام البلاطات العمودية منذ إنشاء جامع القيروان حتى القرن ١٣هـ/١٩م ؛ فقد قل انتشار النظام الذي يعتمد على البلاطات الموازية في تلك المناطق ومن بينها مدينة مصراته .

٣- **النمط الثالث** : وهو نظام تخطيطي عبارة عن مساحة مربعة أو مستطيلة ، مكونة من صحن مكشوف وبيت للصلاة مقسم الى بلاطات موازية وأخرى عمودية على جدار القبلة في آن واحد ، ويتمثل هذا النظام في ٣ منشآت دينية باقية بمصراته وهي :

١٣٢- في دراسة ميدانية للباحث الى جبل نفوسة (مارس ٢٠١٠) وهذا المسجد من تصوير الباحث وقال كبار السن في المنطقة انه شيد منذ ٥٠٠ عام مضت حيث قال احدهم أن جده السابع قد صلى فيه إماما .

^{٦٧} - على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، مساقط ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

^{٦٨} - انظر ؛ محمد محمد الكحلاوي ، عمائر الموحدين ، ص ٣٦١ .

^{٦٩} - محمد عبد الستار ، مدينة ظفار ، ص ٢٧ .

جامع الزروق ق ١٠-١٢هـ/ق ١٦-١٨ م (شكل ٢)، وجامع محمود خازندار (ق ١٢هـ/م ١٨) (شكل ٥) وجامع يدر (الأغا) ق ١٢هـ/م ١٨ (شكل ٧). وقد عرف هذا النظام في بلاد المغرب الإسلامي منذ القرن ٢هـ/م ٨، ومن أقدم أمثله جامع الزيتونة بتونس من عصر الأغلبية (١١٤-٢٤٨هـ / ٧٣٢-٨٦٢م)، حيث يشتمل بيت الصلاة فيه على سبعة أروقة موازية لجدار القبلة تخترقها ١٥ بلاطة عمودية في آن واحد^(٧٠)، وجاء من بعده المسجد الجامع بسوسة (٢٣٦هـ / ٨٥١م) والذي تتكون ظللة القبلة فيه من ٣ أروقة موازية لجدار القبلة، وتتقاطع معها ١٣ بلاطة عمودية عليه^(٧١) ويرى احد العلماء أن اثنين من هذه البوائك التي تشكل الأروقة الموازية، جعلت من أجل تدعيم القبوات الطولية التي تغطي البلاطات^(٧٢). وفي المشرق كان مسجد "دمغان" بإيران (فيما بين ١٣٠-١٧٠هـ / ٧٤٧-٧٨٦م) من المساجد التي تتوازي وتتعامد عقودها على جدار القبلة في آن واحد^(٧٣)، وامتد هذا النظام الى القرنين ٤-٥هـ / ١٠-١١م، ببلاد المغرب، مثلما هو في مسجد سفاقس بتونس ٣٧٨هـ / ٩٨٨م، وجامع الكتبية (الأول) بمراكش ٥٤١هـ / ١١٤٦م^(٧٤).

وبالرغم من الأمثلة المغربية العديدة، التي جاءت وفق هذا النمط التخطيطي، إلا انه لا يعتبر نمطا مغربيا محددًا أو مقتصرًا على بلاد المغرب، فقد ارتبطت هذه المنشآت بظروف إنشاء ووظائف للمنشآت، يختلف باختلافها التخطيطي، كما أنها تمتد في رقعة كبيرة من العالم الإسلامي شرقًا وغربًا وتمتد زمنيًا من القرن ٢هـ / ٨م الى القرن ٨هـ / ١٤م، ومن ناحية أخرى فان هذا النظام التخطيطي قد ارتبط بأسلوب التغطية بالقباب المتعددة والذي انتشر في المدن الليبية مع الوجود العثماني فيها، وبخاصة في العصرين القرمانلي والعثماني الثاني (ق ١٢-١٣هـ / ١٨-١٩م). ويرغم أننا لا ننكر التأثير التونسي، والتي تعددت الأمثلة المتبعة لهذا النظام منها في سوسة وتونس وسفاقس، إلا أن طبيعة البلاد الليبية وقلة الخبرة في أسلوب التغطية بالقباب المتعددة، ومن ثم شيوع هذا النظام مع ارتباطه بالتغطية في الفترة العثمانية كلها عوامل ترجح الرأي القائل بأن هذا النظام التخطيطي نظام عثمانى وافد الى المعمار الليبي وتم استخدامه وتطويره بأيدي محلية.

- ١٣٦- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، القسم الثاني، العصر الإسلامي دراسة تاريخية عمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١، ص ٤٣٨.
- ٧١- فريد شافعي العمارة العربية، ص ٢٤٥ شكل ١٦٨.
- ٧٢- عبد القادر الريحاوي، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية، ج ٥، وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠٠، ص ١٩٤ شكل ٦٠.
- ٧٣- محمد محمد الكحلوي عمائر الموحدين الدينية في المغرب الإسلامي، ص ص ٣٦٢، ٣٦١.
- ٧٤- المرجع نفسه، ص ص ٣٦١، ٣٦٢.

وبالنظر لجذور هذا النظام التخطيطي في العمارة الإسلامية؛ نجد انه وجد في المساجد السلجوقية الباقية ببلاد الأناضول ، مثلما نراه في مسجد علاء الدين كيقباد في نيكدة ،والذى تمثلت فيه العناصر التقليدية

لعمارة المسجد السلجوقي فبلاطته أو بوائكه لا هي موازية لجدار القبلة ولا هي متعامدة عليه تماما وإنما هي خليط من ذلك^(٧٥)، ويعتبر احد المؤرخين أن ذلك التخطيط (الموازي والعمودي) وأسلوب التغطية المرتبط به قد تطور تحت رعاية سلاجقة الأناضول فو منطقة متألّفة من التقاليد الإيرانية بعد انتقال كثير من أصحاب الحرف للأناضول أمام جيوش المغول^(٧٦).

وقد ساق احد المتخصصين في دراسة العمارة الإسلامية في ليبيا ٤٨ مثلا من العاصمة طرابلس الغرب وحدها على النظام التخطيطي المشتمل على بلاطات عمودية وموازية لجدار القبلة ومغطاة بالقباب المتعددة والمتساوية في العصر العثماني^(٧٧) . وليس بغريب أن ينشر هذا النظام بمدينة مصراتة أيضا .

٤- النمط الرابع : وهو نظام تخطيطي عبارة عن مساحة مستطيلة غالبا مقسمة الى صحن أوسط مكشوف تتعامد عليه رواقان أو أكثر وتفتح عليهما خلاوى ضيقة المساحات ، ويلحق به غالبا ضريح للمنشئ أو الشيخ القائم على المنشأة ، وهو نظام خاص بالزوايا ، وتكون الزوايا مستقلة كزاوية الشيخ محمد المدني (ق ١٣هـ/١٩م) أو تلحق بالجامع كباقي منشآت مصراتة الباقية فيما عدا جامع الشيخ .

وقد ارتبط تخطيط الزاوية بوظيفتها ، ومن ذلك حرص الزهاد على أن يكون لهم مكان مستقل عن المسجد يختلون فيه للتأمل والذكر فقاموا ببناء حجرات ملاصقة للمسجد لهذا الغرض ، أطلقوا عليه زاوية ، ومنه هنا ارتبط تخطيط الزاوية بالفكر الصوفي^(٧٨) وكان تخطيط زاوية الزروق الكبرى (المجاورة لضريحه) ، على شكل مستطيل (٣٠ × ٤٠ م) تحتوي على ثلاث قاعات للدراسة ، و ٢٧ خلوة حول صحن أوسط مع حجرة الضريح للشيخ ومرافق للوقف^(٧٩) ، وبسبب ارتباط وحدات الزاوية بوظائفها ، كمؤسسة دينية ، فقد احتوت على فناء ومسجد صغير للصلوات الخمس ، وكتاب ،

^{٧٥} - أصلان آبا (اوقطاي) فنون الترك وعمائرهم (ترجمة احمد عيسى) ، استانبول ١٩٨٧، ص ٨١ ،تخطيط ١٣ .

⁷⁶-Grane,Haward ,Anatolian Seljuk Architecture and Its Links to Seljuk Iran ,The Arts of the Seljuk proceedings of Symposium held in Edinburgh ,M. publishers ,California ,1994.

^{٧٧} - على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا ، قوائم من ٣-٧ .

١٤٤- محمد الكوفي بالحاج ، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ٢٠٠٠، ص ٣٤ ،بتيسير بن موسى المرجع السابق ص ٧٩ .

^{٧٩} - مصطفى أبو عجيبة ، المرجع السابق، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

وقاعة تدريس ، وخالوي لمبيت الطلاب وفقراء الصوفية^(٨٠) ، ولكن بعض الباحثين يخالطون بين تخطيط الجامع وتخطيط الزاوية بالرغم من اختلاف الوظيفة والمسمى حسب رغبة المنشئ ، وجريا على عادة ما اصطلح عليه العامة من إطلاق اسم (زاوية) على كل جامع قديم ، تقام فيه حلقات الدرس أو التصوف ويحفظ فيه القرآن ، ومن ذلك ما أطلقه أحد الباحثين على كل من مسجد الساعدية (شكل ١١) ومسجد محمود خازندار (شكل ٥) أنهم زوايا ، ويذكر أنه نادرا ما تقع صلة بين الجامع والزاوية لوجود فواصل مثل الضريح "كما في زاوية المحجوب" التي يعتبرها كلها زاوية بما فيها الجامع والزاوية^(٨١) ويدلل على رأيه ذلك بأن قلة عدد المنابر في الزوايا - حسب رأيه - له دلالة قاطعة على أن من الزوايا ما أوقف كجامع ، وأن هذا لا يعنى تقديم مصطلح "الجامع" على مصطلح "الزاوية" لأن الخطبة وظيفية ثانوية أو إضافية لها وليست رئيسية^(٨٢) .

ولاشك أنه في هذا الرأي نفسه من الأدلة ما يبين تناقضه ، وما يميز بين نظامين في التخطيط ، أولهما الجامع ذو المنبر والمئذنة والذي تقام به صلاة الجمعة والجماعات ، وبين نظام يوقف كزاوية تعليمية أو طرقية أو "لولى" حول ضريحه وبجوارها مسجد أوقات (الخمسة) وهو ما سار عليه كثير من العلماء والباحثين ، من أن الزاوية قد تتشابه مع المدرسة في التخطيط ، وعندما تكون ضمن مجموعة معمارية ، فإنها تضم مسجدا "للخمس" وقاعة خالوي حول صحن مكشوف ومحاط بأروقة من أربعة جهات أو جهتين مع الضريح وحجرة ضيافة^(٨٣) .

ومن أهم الأدلة على ذلك ولبيان تشابه التخطيط في هذين النوعين من المنشآت الدينية "الزاوية والمدرسة" فإن أهم أمثلة المدارس المستقلة في طرابلس هي مدرسة عثمان باشا الساقزلى (ق ١١هـ/ ١٧م) وتخطيطها يعتمد على صحن أوسط مكشوف ، تحيط به أربعة أروقة ، أكبرها رواق القبلة وبكل منها بلاطة واحدة تفتح عليها حجرات الطلبة^(٨٤) كما أن كلا من الزاوية والمدرسة يشتركان في أن العامل الرئيسي في تخطيط كل منهما هو جدار القبلة حيث يتصدر بيت الصلاة البناء ، وتتنظم الحدود الداخلية للمنشأة في مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار ويتميز بيت الصلاة فيها بأن حجمه يصغر عن بيوت الصلاة في المساجد الجامعة^(٨٥) .

^{٨٠} - على فهمي خشيم ، الزروق والزروقية ، ص ١٧٠ .

^{٨١} - سمير عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

^{٨٢} - المرجع نفسه ، ص ٢٥٧ .

^{٨٣} - على مسعود البلوشى ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا ، ص ص ٣٧٤، ٢٩٩ .

^{١٥٠} - محمد مصطفى نجيب ، مدرستان مستقلتان بطرابلس الغرب ، الساقزلى والكاتب ، دراسة معمارية ، مجلة كلية الآثار ، العدد السادس ١٩٩٥ ، ص ص ١٤٦، ١٤٧ .

^{٨٥} - انظر : أحمد فكرى ، خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي ، ١٧٥، ١٧٦ .

كما تشابه تخطيط المجموعة المعمارية؛ سواء تلك المكونة من (مدرسة ومسجد وضريح) أو (جامع وزاوية وضريح) في المشرق عنه في المغرب الإسلامي، فعادة ما ينتظم تخطيط هذه المجموعة لتؤدي عدة وظائف، مسجد للصلاة، وقاعات للدرس والإقامة والاختلاء ومدفن للمنشئ^(٨٦) والذي أكدت عليه أكثر من دراسة علمية في الحياة الثقافية الليبية في الفترة العثمانية، أن مكونات الزوايا مسجد للصلوات الخمس وقد تعقد فيه حلقات الذكر، مع قاعة درس وخلوي ومنافع للزاوية وضريح للمنشئ (أو الشيخ) كلها تدور حول فناء أوسط مكشوف^(٨٧).

وبرغم كثرة الدراسات حول المنشآت الدينية (المسجد الجامع، الخانقاه، الزاوية، المدرسة) فلو نر أحدا من العلماء والباحثين يطلق على الزاوية أو الخانقاه اسم "المسجد الجامع" أو العكس، كما لم نر أحدا منهم يطلق على الجامع اسم خانقاه أو زاوية أو مدرسة، حيث إن ذلك يرتبط بظروف الإنشاء والوظيفة التي يريدها المنشئ من وراء المنشأة. وما الزاوية في الغرب الإسلامي إلا وهي في الحقيقة تقوم مقام الخانقاه في الشرق، وإن كان هناك بعض الفروق البسيطة في التفاصيل المعمارية.

وعندما يطلق اسم "زاوية" على جامع (مثل محمود خازندار - ابن غلبون) وهو يفنقد لوحدة معمارية هامة في الزاوية وهي الخلاوي. وفي الحقيقة الملحق بالجامع قاعة وليست خلوة وهي مهدمة وأعيد بناؤها الآن. وحتى "قاعة الدرس" في الزاوية يقوم مقامها أو بوظيفتها أحد الأروقة المحيطة بالصحن كما بالمحجوب^(٨٨). والحقيقة الواقعة أن برواق مؤخر هذه الزاوية الملحقة بجامع المحجوب قاعة للدرس (لوحدة ٥١).

فخلاصة القول إنه من الصواب تسمية كل منشأة دينية باسمها، جامعا كانت أو زاوية ملحقة أو مستقلة ليس فقط حسب التخطيط والوظيفة، ولكن أيضا حسب رغبة المنشئ وما اصطلح عليه كبار العلماء والباحثين في العمارة الإسلامية بليبيا، فقد تم التخطيط لهذه الزوايا ضمن مجموعات معمارية معروفة ومحددة الوظائف في حالة إنشائها أو إلحاقها بالمجمعات كزوايا مصراتة (الزروق بجامعه ق ١٠هـ/١٦ م، ابن غلبون بجامع خازندار ق ١٢هـ/١٨ م، وزاوية الأغا بجامع يدق ق ١٢هـ/١٨ م، وزاوية المحجوب بجامعه ق ١١هـ/١٧ م) ووجد نموذج وحيد لتخطيط زاوية مستقلة وهو زاوية الشيخ محمد المدني (أعيد بناؤها)، وجامع واحد لم تلحق به زاوية وهو جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز (ق ١١هـ/١٧ م).

^{٨٦} - انظر: محمد سيف النصر أبو الفتوح، المدارس اليمينية، مجلة الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول خريف ١٩٨٥، ص ١١٧.

^{٨٧} - راجع: علي جهان، المرجع السابق ص ١٢٠-١٢١.

^{٨٨} - سمير عبد المنعم، المرجع السابق، ص ٢٢٧.

ثالثا : الدراسة التحليلية للعناصر المعمارية

أ- عناصر الإنشاء: إن العمل في مشروع معماري كان ينتقل بعد الخطوة الأولى من تخطيطه على الموقع الى العمل على جملة مهندسين أو بنائين كبار أو رؤساء الصناع (المعلمين) بحيث يختص كل منهم بجزء من المبنى حسب قدرته ثم يوزع هو العمل فيه على من دونه من البنائين والصناع^(٨٩).

١ - الأساسات والجدران والأكتاف ؛ كانت عملية البناء تبدأ بحفر الأساسات , بوضعها متينة تتحمل الثقل , وحتى تقوى على الزمان تؤدي وظائفها , وكانت الأساسات تحفر عميقة حتى يصل حفرها للمستوى الصخري , لكي يضع المعمار عليه أحجار مبانیه مباشرة , وتكون الأساسات سميكة ثم تتدرج كلما ارتفع البناء , ولذا فقد كانت تمتد عميقة في باطن الأرض^(٩٠).

وكان لتطور أساليب الإنشاء في استخدام العقود والأقبية أثره في عدم الحاجة الى أنواع الأحجار الضخمة الصلبة التي تستخدم في عمل السقوف والأعتاب^(٩١) والأسلوب الإنشائي الذي تم تنفيذه في المنشآت الدينية بمصراته هو الأعمدة والعقود والسقوف المتنوعة ما بين أقبية وقباب ممتدة أو ذات امتدادات معمارية مرئية وجدران سميكة^(٩٢).

وكانت مادة البناء الشائعة هي الحجر الجيري , أو قطع الحجارة والطين والرمل والجير , أما الأسقف المقبية فكانت مادتها قطع الحجارة الصغيرة أو الطوب (الأجر) مع مونة قوية من الرمل والجير والجبس^(٩٣) . ومن أهم مميزات الحجر الجيري : العزل الحراري والعزل الصوتي بالإضافة لمتانته ومقاومته لأسباب الحريق , كما كان من مميزات استخدام الأجر في القباب والأقبية وفي المواضع المعرضة للماء للمقاومة لذلك , وفي الجمع بينه وبين الحجر أحيانا في الإنشاء بغرض التخفيف^(٩٤) .

وانسحبت بعض مميزات مواد الإنشاء المغربية ووسائله على منشآت مصراته , ومنها : قصر ارتفاع الأعمدة الحاملة , ووجود الأكتاف الداعمة للجدران , والعقود المتسعة الفتحات , والجدران السميكة وتعدد أشكال النيجان المجلوبة من عمائر قديمة , واعتماد القباب على حنايا ركنية أو مثلثات كروية بسيطة , وعدم تعدد حطاتها كالمقرنصات , وكذلك خلو معظم المنشآت من العناصر الزخرفية . وكان بناء الحوائط يتم بطريقتين ؛

^{٨٩} - فريد شافعي , العمارة العربية , ص ٣٠٩ .

^{٩٠} - محمد عبد الستار , الوظيفة , ص ص ٤٤٤, ٤٤٠ .

^{٩١} - المرجع نفسه , ص ٤٣٥ .

^{٩٢} - جنين كتامة , المسجد الجامع , جامع الملوية , مستخرج من كتاب أصالة المعالجات المعمارية

التخطيطية عند العرب , بغداد ١٩٨٦ , ص ١٣٥ .

^{٩٣} - علي جهان , المرجع السابق , ص ١٣١ .

^{٩٤} - محمد عبد الستار , المرجع السابق , ص ص ٤٣٥ , ٤٤٠ .

الأولى : استخدام الطابية بطريقة ضرب الباب^(٩٥) المشهورة في ليبيا منذ العصور القديمة ، والثانية بوضع الحجارة الجيرية المصقولة على وجهي الحائط الداخلي والخارجي ، وتكون متساوية الأضلاع وذات أحجام متقاربة ، ثم يحشى ما بين الوجهين بحجر غير مروم^(٩٦) . وكان وجود الأكتاف الجدارية في منشآت مصرات امتداد لوجودها في العمائر الإسلامية الأولى في بلاد المغرب . وذلك لحاجة الجدران إليها كدعامات ساندة توجد داخل الجدران حتى تقاوم قوة الدفع الناشئة عن القباب أو الأقبية التي تغطي الأسطح ، مما يجعل الجدران الضعيفة إذا تعامت عليها الاقبية أو قامت عليها حنايا العقود منبعجة من الخارج ، فجعل المعمار ميل تلك الأكتاف والدعائم من الخارج للداخل كلما ارتفعنا وهو ما نشاهده في جدران منشآت ؛ الزروق (لوحة) ، والمحجوب (لوحة) ، والشيخ فتح الله (لوحة) ، وجامع يدر (لوحة) ، وجامع الشيخ (لوحة) ، وجامع محمود خازندار (لوحة).

ويرى البعض أن هذا الأسلوب البنائي قد انتقل للعمارة المغربية من العمارة الحربية الرومانية ، ولكن العلماء يرجحون أنه كان منتشرا في المساجد العباسية بالعراق و إيران ، والمغرب ، وأن تدعيم الجدران الخارجية بالركائز قد انتقل الى جامع قرطبة من المغرب ، ومن قرطبة انتشر لباقي العالم الاسلامي ، ولذلك فهو أسلوب ذو أصل شرقي ، بدأ استخدامه في مساجد العراق من القرن ٢هـ / ٨ م^(٩٧) .

ويرجح أن جدران جامع عمرو بن العاص بالفسطاط كانت تحتوى على دعائم تنتهي إليها أطراف البائكات التي تتعتمد على بائكات أخرى ، وربما يرجع ذلك لضعف أسلوب البناء في الجدران الأصلية ، مما أدى الى إضافة تلك الدعائم الساندة بغرض حفظ الجدران الباقية من السقوط^(٩٨) ويعتقد أن استخدام الأحجار في المباني ساعد على وجود الدعائم وأدى الى الاستغناء عن الأعمدة واستبدال الدعائم بها وإقامة الأسقف المبنية المعقودة بدلا من الأسقف الخشبية المسطحة^(٩٩) وعرف أسلوب دعم الجدران بالأكتاف في مساجد الصحراء المغربية بالجزائر ، حيث ينتهي كل صف من البوائك بدعامة حائطية عند طرفيه وذلك لحمل العقود وتدعيم الجدران ، وبنيت الدعائم نفسها من نفس مادة البناء الذي بني بها المسجد^(١٠٠) . وبالرغم من سمك الجدران في منشآت مصراته والذي يزيد عن المتر أحيانا ، ورغم قصر ارتفاعها ، فإن الأمر

٩٥ - انظر : حاشية ٣١ .

٩٦ - محمد عبد الستار ، الوظيفية ، ص ٤٤٤ .

٩٧ - محمد محمد الكلاوى ، عمائر الموحدين في الغرب ، ص ٤٠٠ .

٩٨ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، شكل ٢٠٦ - ٢٠٨ .

٩٩ - أحمد فكرى ، خصائص عمارة القاهرة ، ص ١٧٠ .

١٠٠ - عبد العزيز شهبي ، النمط المعماري للمساجد الأثرية بالصحراء الجزائرية ، الاتحاد العام للآثاريين العرب ٢٠٠٧ ، ص ٥٧٠ .

تطلب وجود هذه الأكتاف والدعائم داخل الجدران أو خارجها لكي تدعم هذه الجدران في مقاومة قوة الدفع الواقعة عليها من الأقبية أو القباب . وللتأكيد على الدور الإنشائي لهذه الدعائم ، فإنه يعلوها عقود داخل الجدران أيضا في معظم منشآت مصراتة الباقية سواء ذات القباب ، كما في (الزروق، خازندار ،يدر) ، أو في المنشآت ذات الأقبية ، ولكنها توجد في الجدران غير المقابلة للأقبية كما في جامع المحجوب وجامع الشيخ ، حيث تنتهي الأقبية بأشكال عقود مدببة فتحت بوسطها نوافذ في الجدران المتعامدة عليها وخاصة في جدار القبلة .

واختلف الباحثون بشأن تلك العقود "الدمجة" بالجدران ، فيذكر احد الباحثين أنها ليس لها علاقة مباشرة بأسلوب التغطية ، بمعنى أنها لا تحمل أو تشارك في حمل الأقبية والقباب وإنما توزع الأثقال على العقود والأعمدة الوسطى المنفردة والجدران الجانبية (١٠١) ، في حين يرى باحث آخر أن تلك العقود المرتكزة على الأكتاف الجانبية والتي ترتكز عليها عقود البائكات تتناسب مع قدرات المعمار الليبي المتواضعة وفي أنها تساعد على حمل الأثقال المسلطة على الجدران ، فضلا عن ذلك فهي زينة للجدران من الداخل (١٠٢) ويدعم ذلك الرأي وجود مساطب مبنية يصل ارتفاعها الى نحو المتر وتبرز لداخل بيت الصلاة بنحو ٥٠ متر ، وتنشأ عن اتساع عرض الجدران من أسفل ومن داخل الجدران فقط فيما يقابل ميل تلك الجدران من الخارج الى الداخل كلما ارتفعنا كما هو في منشآت ؛ (محمود خازندار ، الشيخ ، فتح الله) ، ويرجح أن ارتفاع الأرضيات داخل المنشآت الأخرى الباقية قد غطي جزءا من هذه المساطب أو كلها كما في منشآت ؛ (الزروق ، المحجوب ،يدر ، بن نصر) .

٢- الأعمدة : كانت الأعمدة عنصرا أساسيا من عناصر الإنشاء في المنشآت الدينية بمصراتة ، وذلك لان معظمها يخضع لنظام تخطيط المساجد الجامعة ذات البلاطات التي تفصل بينها بائكات عبارة عن صفوف من العقود المرتكزة على الأعمدة كعناصر حاملة ، كما استخدمت كبديل عن الأكتاف الجدارية أحيانا ، وكذلك على جانبي حنية المحراب لكي تحمل عقده .

وفي معظم المنشآت الدينية بمصراتة ، تم جلب الأعمدة المتوفرة من مبان قديمة مما شجعهم على إعادة استخدامها ، وكان على المعمار أن يوفق بين الأطوال المختلفة لأبدان الأعمدة وموادها وأشكالها ، فحاول تضيق هذه الهوة فوضع للأعمدة تيجان متنوعة الأحجام والمقاسات لكي يساوى بين أعالي الأعمدة التي تقوم عليها العقود . وتفاوتت أعداد الأعمدة وموادها وإحجامها وكذلك مقاساتها في منشآت مصراتة الدينية ، ويرجع سبب التفاوت العددي لاختلاف وظيفة المنشأة ؛ ما بين جامع أو مجمع أو

١٠١ - سمير عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

١٠٢ - سعدى الدراجي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

زاوية مستقلة , فنجد العدد يزيد في المجمعات المعمارية عنه في الأنواع الأخرى , ففي المحجوب ٣٠ عمودا +٢ حول حنية المحراب , أما في مجمع (مسجد وزاوية) صالح بن حمودة فكان ١٤ عمودا (١٠٣) والأعمدة في الجوامع أكثر منها في الزوايا سواء ملحقة أو مستقلة , فمثلا في جامع الزروق ١٢ عمودا +٢ حول حنية المحراب (لوحة ٢٢) وفي جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز ١١ عمودا +٢ حول المحراب (لوحة ٢٦) وفي جامع الشيخ فتح الله ٨ أعمدة +٢ للمحراب , وفي جامع محمود خازندار ٤ أعمدة +٢ للمحراب وفي جامع يدر ٨ أعمدة +٢ للمحراب (لوحة ٢٧) أما في الزوايا المستقلة فيقل عدد الأعمدة , فهو في زاوية المنتصر ٨ أعمدة وفي المسجد الملحق بها ٤ أعمدة (١٠٤) (شكل ٨) وفي زاوية الساعدية لا توجد أعمدة وكان سطحها خشبي مسطح , في حين كان العدد في المسجد الملحق بها ٦ أعمدة (١٠٥).

ومن حيث مواد الأعمدة فمعظمها من الحجر الرملي فيما عدا بعض المنشآت التي تتخذ أعمدة رخامية كجامع الشيخ إبراهيم المحجوب في بيت الصلاة دون الزاوية , والأعمدة التي تحمل عقود المحاريب في كل من جامع محمود خازندار , وجامع يدر (لوحة ٢٤ , ٢٧) وتلك التي تحيط بمدخل جامع الشيخ (لوحة) , والأعمدة الاسطوانية الرافعة سواء كانت حجرية أو رخامية , كلاهما مجلوب من عمائر رومانية قديمة (١٠٦) , حيث تتدر مقاطع الرخام أو الحجر الرملي في مصراتة أو بالقرب منها , وتتراوح أبعاد هذه الأعمدة ما بين ٠.٧٥ م و ١,٢٥ م .

وكان البيزنطيون قد سبقوا المسلمين في اتخاذهم للأعمدة عن عمائر قديمة , فقد اخذ البيزنطيون من المعابد الرومانية أعمدتها , بل أنهم كانوا يستولون على المعابد الرومانية ويحولونها كلها أو بعضها الى كنائس (١٠٧) وتتميز أعمدة المنشآت في مصراتة بأنها بلا قواعد , وكان المسلمون قد اتخذوا في زيادات المسجد الجامع بقرطبة أعمدة مجردة من قواعد , وذلك بعد أن أصبح من السهل نحت الأعمدة وإعدادها للأغراض المختلفة (ق ٤هـ/ق ١٠ م) (١٠٨) وعرف استخدام الأعمدة كروافع في بلاد المغرب الأقصى منذ عهد المرابطين , ثم اعتمدت عمائر الطراز الموحدى الأول على الدعائم , وعادت الأعمدة فشاع استخدامها في عمائر الطراز الموحدى الثاني بدلا من الدعائم (١٠٩) .

١٠٣ - على مسعود البلوشي , المرجع السابق , مسقط ١٤ , ص ٤٨١ .

١٠٤ - المرجع نفسه , مسقط ٨ ص ٤٧٩ .

١٠٥ - المرجع نفسه , مسقط ١٢ ص ٤٨٠ .

١٠٦ - غاسيرى ميساننا , المرجع السابق , ص ١١٥ .

١٠٧ - فريد شافعى , العمارة العربية , ص ١٥٥, ٢١٢ .

١٠٨ - السيد عبد العزيز سالم , العمارة الإسلامية في الأندلس , ص ٣٥٢ .

١٠٩ - محمد محمد الكحلوى , عمائر الموحدين الدينية , ص ٣٧٤, ٣٥٠ .

أما بالنسبة لتيجان الأعمدة المستخدمة في منشآت مصراتة الدينية ، فهي على أربعة أشكال؛ الأول وهو الشكل الكأسي الأكثر شيوعا في تيجان الأعمدة لدى المسلمين بصفة عامة منذ القرن ٣هـ / ٩م ، بعد أن قاموا بتجريد التاج البيزنطي من الأوراق الكورنثية ، وضاق قطر التاج حتى أصبح الشكل العام له كالكأس^(١١٠) ونرى ذلك في تيجان أعمدة المحاريب بجامع محمود خازندار ، وعلى جانبي مدخل جامع الشيخ الرئيسي ، والشكل الثاني للتيجان هو التاج البسيط المربع الذي كسرت زاويته لتلائم استدارة بدن العمود وزينت جوانبه أحيانا بزخارف هندسية كالمثلثات أو نباتية كالورق ، ويطلق عليه اسم التاج الحفصي^(١١١) ونرى أمثله في بيت الصلاة بجامع الشيخ فتح الله (لوحة ٢١) وفي جامع محمود خازندار . والشكل الثالث للتيجان : هو الشكل المربع المكون من مكعبين من الرخام أو الحجر ، أحدهما يعلو الآخر ، كما يرى ذلك في منشآت الزروق (لوحة ١٦) والمحجوب (لوحة ١٧) ويدير (لوحة ٢٠). والملاحظ أن هذه المنشآت الثلاثة تنتمي للقرن ١٢هـ / ١٨م . أما الشكل الرابع للتيجان ، فهو تاج مكون من دائرتين ؛ العليا أكبر في القطر من السفلى بقليل وهو ما نراه في جامع بن نصر ، وفي احد التيجان بجامع المحجوب حيث يغطي فتحة الماجل (لوحة ٧٤) .

٣- العقود : تعتبر العقود بكافة أنواعها من أهم العناصر الإنشائية التي استخدمها المعمار ، ويقوم العقد أساسا على حركة الرفس الناتجة من الكتل المكونة للعقد (الصنج) والتي تكون خاصته ، والعقود أكثر طواعية من الأعتاب المستقيمة من ناحية قابليتها لتغيير ارتفاعها واتساع فتحاتها كما أنها تنقل الثقل الى الأكتاف الجانبية^(١١٢) وقد استخدم المعمار في منشآت مصراتة أربعة أنواع من العقود ، أخذت أشكالها حسب طريقة الإنشاء و فأولها العقد النصف مستدير وهو الذي ورثه المسلمون عن البيزنطيين والساسان واستخدموه منذ القرن الأول للهجرة^(١١٣) ، وشاع استخدامه في مداخل المنشآت الدينية بمصراتة مثل مدخل جامع المحجوب (لوحة ٤) ومدخل جامع محمود خازندار (لوحة ٥٤) ومدخل جامع الشيخ احمد الزروق (لوحة ٢) ، كما استخدم في خلوة بزواية ملحقة بجامع يدر (لوحة ٥٣) .

أما العقد المدبب فكان الأكثر شيوعا في منشآت مصراتة ، وذلك لقابليته للتغيير وقد ساد هذا النوع من العقود في العمارة المغربية وفي مساجد الطراز الموحدى الأول ، حيث جعلوا العقود المدببة في أروقة بيوت الصلاة^(١١٤) ، واستغل المعمار مميزات هذه العقود المدببة الواسعة في بيوت الصلاة لأنها أكثر تحملا وقوة من العقود النصف

١١٠ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ١٥٠ .

١١١ - انظر: غاسرى ميساننا، المرجع السابق ، ص ١١٥ ، سعدى الدراجي ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

١١٢ - محمد عبد الستار ، الوظيفة ، ص ٤٤٨ .¹¹²

١١٣ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ١٤٨ ، ٢٠٧ .

١١٤ - محمد محمد الكحلوى ، عمائر الموحدين ، ص ٣٥١ .

مستديرة ، ولتخفيف الثقل على الأعمدة مع السقف المنخفض^(١١٥)، وذلك ما نراه في بيوت الصلاة بمنشآت الزروق (لوحة ١٦) و محمود خازندار (لوحة ١٨) وجامع يدر (لوحة ٢٠) و جامع الشيخ (لوحة ١٩) وجامع فتح الله (لوحة ٢١) وفي مدخل الضريح للشيخ المحجوب بمجمعه (لوحة ٤٢). والمعروف أن العقد المدبب كان من العناصر المميزة للعمارة العربية الإسلامية في الشرق، وأقدم مثل له في الجامع الأموي بدمشق في واجهة المجاز القاطع المطلة على الصحن ، وفي النوافذ الصغيرة بجوار القبلة وفي جامع عمرو بالفسطاط وقيل انه ظهر قبل الإسلام^(١١٦) وساد بعد ذلك في العمارة العباسية كما شاع في عمائر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس^(١١٧) . كما استخدم في منشآت مصراتة ؛ العقد المتجاوز لنصف الدائرة (الحدوى) ويعتقد بعض العلماء انه على الرغم من أصله الشرقي ، إلا انه هاجر منذ العصر الإسلامي المبكر لبلاد المغرب وأصبح من أشهر مميزات العناصر المعمارية هناك كما ساد في جميع منشآت الدولة الأموية في الأندلس^(١١٨)، كما انه احتل مكان الصدارة في عمارة المسجد الموحدى ، فاستخدم في فتحات المحاريب ، في عقود البلاطات العمودية على جدار القبلة وفي فتحات المدخل وفي بعض النوافذ^{١١٩}. وأهم أمثله بمنشآت مصراتة ؛ في مداخل جامع وزاوية الشيخ فتح الله (لوحات ٥ ، ٦) وفي السقيفة التي تتقدم المدخل الشمالي الغربي لجامع الشيخ.

ومن بين أنواع العقد المتجاوز ؛ العقد المتجاوز المدبب ، وهو الذى يكون التقوس فيه الى الداخل عن خط المركز يضعف مقاومة العقد^(١٢٠) وتوحد أقدم أمثلة هذا النوع في العمارة الإسلامية المغربية في الجزء المؤرخ بعام ٢٢١هـ / ٨٣٦م في جامع القيروان^(١٢١) ومن أمثله في عمائر مصراتة عقد المحراب في جامع الزروق (لوحة ٢٢) وعقد المحراب في جامع المحجوب (لوحة ٢٣) وآخر أشكال العقود بمنشآت مصراتة ، هو العقد الموتور (القوسى) وهو عقد يقل ارتفاعه عن نصف قطره ، وأمكن الاستغناء به عن استخدام العتب المستقيم من كتلة واحدة والذى يتعرض للكسر

١١٥ - محمد عبد الستار ، الوظيفة ، ص ٤٥٠ .

١١٦ - فريد شافعي ، العمارة العربية، ص ٢٠٧ و ٢٨٢ .

١١٧ - السيد عبد العزيز سالم ، العمارة الإسلامية في الأندلس ، ص ٦٣ .

١٨٤ - انظر : - فريد شافعي ، العمارة العربية، ص ٢٠٣ ، - السيد عبد العزيز سالم ، العمارة الإسلامية في الأندلس ، ص ٣٦٠ ، محمد محمد الكحلوى ، عمائر الموحدين ، ص ٣٩٦ ، كريزول ، العمارة الإسلامية الأولى (ترجمة عبد الهادي عبلة ، دمشق، ١٩٨٤، ص ٣٠٣، ٣٠٢ .

١١٩ - محمد محمد الكحلوى ، عمائر الموحدين ، ص ٣٩٦ .

١٢٠ - محمد عبد الستار ، الوظيفة ، ص ٤٥٠ .

١٢١ - فريد شافعي ، العمارة العربية، ص ٢٠٧ .

، وقد استعمل في منشأة واحدة بمصراتة هي جامع محمود خازندار في موضعين ، في محراب الجامع (لوحة ٢٤) وفي مدخل الميضاة (لوحة ٨) .

٤ - الأقبية : - تعتبر عملية التغطية من العمليات المرتبطة بتخطيط المنشأة ، حيث يمكن القول بأن اختلاف طرز العمارة بصفة عامة راجع الى اختلاف أساليب التغطية (١٢١) وتوضح التغطيات الطابع المحلي نظرا لخضوعها للعوامل البيئية من حيث الأمطار والتلوج والحرارة (١٢٢) وتعتبر الأقبية الطولية المدببة من أقوى وسائل التغطية (١٢٤) وقيل أن أقدم استخدام للقبو الطولي يرجع للعراق القديم وكان في بادئ الأمر من اللبن في عصر الوركاء (٦٥٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م) ثم شيد بالحجر والطابوق في عصر فجر السلالات (٤٨٠٠ - ٤٤٠٠ ق.م) وفي عصر الحضرة العربي (ق ٢ - ٢٤١ ق.م) شاع استخدام الأقبية الحجرية في التشييد على نطاق واسع ويرجع السبب في ذلك الى عدم ملاءمتها من الناحية المناخية والهندسية في منطقة لا تتوافر فيها الأخشاب (١٢٥) وساعد على انتشار الأقبية أيضا ، استخدام اصغر وحدة لمادة إنشائية معروفة آنذاك وهي اللبن أو الطابوق بأسلوب الصفوف الأجرية المائلة فوق جدران الغرفة المستطيلة (١٢٦) واستعملت الأقبية الطولية بكثرة عند الرومان ، وكانت كلها من النوع ذي الشكل نصف الدائري ، كما كانت اغلب عمائر السامان تغطي بالأقبية سواء ما كان منها مشيدا بالحجر أو الآجر (١٢٧) . وفي العصر الإسلامي استخدم القبو النصف اسطواني في تغطية الممرات الضيقة بمنازل الفسطاط (١٢٨) ويعتبر مسجد أبو قتادة بسوسة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م من عصر الأغالبة هو أقدم منشأة دينية ببلاد المغرب استخدم في تغطيته الأقبية الطولية (١٢٩) ونظرا لنتشابه الظروف المناخية بين الشمال الافريقي وبلاد الأناضول فقد استخدمت الأقبية في تغطية منشآتها منذ العصر السلجوقي المبكر ، وذلك لتغطية ثلاثة أروقة بصحن جامع "بنليس" ٤٥٥ هـ / ١٢٥٠ م ، واستمرت في عصر سلاجقة الأناضول وأمثلتها في مسجد "دولي" بمدينة قيصرية

١٢٢ - محمد عبد الستار ، الوظيفية ، ص ٤٤٥ .

١٨٩ - محمد محمد الكحلوي ، السمات المعمارية بين مساجد دلهي ومساجد الغرب الإسلامي ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي ١٩٩٨ م ، ص ٥٢ .

١٢٤ - محمد عبد الستار ، الوظيفية ، ص ٤٥٠ .

١٢٥ - ماجد عبد الله الشمس ، العمارة العراقية قبل الإسلام ، مستخرج من كتاب أصالة المعالجات المعمارية التخطيطية ، ص ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٤ .

١٢٦ - مؤيد سعيد ، الأصل العراقي القديم للعمارة الإسلامية ، مستخرج من كتاب أصالة المعالجات المعمارية ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ .

١٢٧ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ١١٥ ، ١٦٤ .

١٩٤ - جمال محرز ، منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس - أبريل ١٩٦٩ ، ج ١ ، ص ٣٢٩ ، ٣٢٨ .

١٢٩ - عبد القادر الريحاوي ، قمم عالمية ، ص ١٩٦ .

٦٨٠هـ/١٢٨١م^(١٣٠) ويعتبر نظام التغطية بالأقبية النصف اسطوانية أو النصف برميلية هو الأكثر شيوعاً في منشآت مصراتة، خاصة فيما بين القرنين (١١-١٣ هـ/١٧-١٩م) ومن مجموع ٢٣ منشأة مغطاة بأقبية أحصيت منها ٧ منشآت في مصراتة وحدها ، بقي منها أربعة منشآت قائمة^(١٣١) وهي ؛ جامع الشيخ فتح الله (لوحة ٣٤) وجامع الشيخ محمد عبد العزيز (لوحة ٣٣) وجامع الشيخ إبراهيم المحجوب (لوحة ٣٦) وجامع بن نصر (لوحة ٥٧). كما اتبع نفس أسلوب التغطية في أربعة منشآت مندثرة في مصراتة وهي ؛ مسجد السورق ١٣هـ/١٩م (٤ أقبية عمودية)، ومسجد الساعدية ق ١٣هـ / ١٩م (٣ أقبية موازية) ، ومسجد وزاوية المنتصر ق ١٢هـ / ١٨م (٣ أقبية موازية) ، وجامع الشيخ صالح بن حمودة ق ١١هـ / ١٧م (٤ أقبية موازية) ^(١٣٢) .

٥ - القباب : -لقباب مميزات إنشائية هامة فهي تساعد على تخفيف القوى الضاغطة على الأساسات والجدران التي تتركز عليها ، كما أن السقوف المقبية أكثر تماسكا من السقوف المستوية ^(١٣٣)) وأسلوب التغطية بالقباب المتعددة والمتساوية من الأساليب التي انتشرت في المناطق الليبية فيما بعد القرن ١٠ هـ/١٦ م ، واعتبره عدد من العلماء والباحثين من الملامح المعمارية التي ميزت بناء المسجد الليبي في تلك الفترة حتى أن بعضهم أطلق عليه اسم (المسجد ذي القببات) ^(١٣٤)) وبرغم كثرة المنشآت التي غطيت بالقباب في طرابلس والتي أحصى منها نحو ٣٩ منشأة فيما بين القرنين ١٠-١٣ هـ/١٦-١٩ م ^(١٣٥)) ، فإن نماذج هذا النظام في التغطية يتمثل في ثلاث منشآت قائمة فقط في مدينة مصراتة وهي جامع الزروق (شكل ٢) ، وجامع محمود خازندار (لوحة ٢٩ ، شكل ٥) ، وجامع يدر (لوحة ٣٠ ، شكل ٧) ، وقد تعددت الأسباب التي ساقها الباحثون بشأن إستخدام هذا الأسلوب في التغطية برغم اختلافهم في المصدر الذي أخذ منه هذا الأسلوب أصوله .

فيرى "ميسانا" أن هذا الأسلوب محلي ؛تطور من فكرة قباب المرابطين "الضريحية" وبتكاثر عدد المحبين للمرابط واستحسان بناء مسجد بجوار ضريحه ، فبرزت مشكلة تسقيف مساحة أوسع من الضريح فكان الحل هو وضع عدد من الوحدات المرابطية ،

١٣٠ - أصلان آبا (اوقطاي) ، المرجع السابق ، ص ٦٥ ، شكل تخطيط ٣ .

١٣١ - على مسعود البلوشي ، المرجع السابق ، ص ٤٧٩ ، ٣١٣ ، ٣١٨ .

١٣٢ - على مسعود البلوشي ، المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، ٣١٧ ، قائمة ٩ ص ٣١٣ .

١٣٣ - احمد قاسم الجمعة ، المرجع السابق ، ص ٤٠،٤١ .

٢٠٠- انظر : على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا، ص ١٥٣:١٤٥، غاسبري ميسانا، المرجع السابق، ص ٥٣-٥٤، محمد محمود الجهيني، مساجد درنة وعناصرها المشرقية المغربية تأكيداً للتواصل الحضاري مع ليبيا، أعمال الندوة الدولية الأولى لجمعية للأثريين العرب ، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، القاهرة ١٩٩٩، ص ٦٥٤، سعدي الدراجي، زلزلتين ، ص ٨١ .

١٣٥ - على مسعود البلوشي : قوائم ٣،٤،٥،٧، ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ .

واعتبر أقدم أمثلته هو جامع عبد الله بن سعد بن أبي السرح فى واحة أوجلة ق ٦هـ/١٢م^(١٣٦)، فيما اعتبر آخرون مدافن أسرة بنى الخطاب فى زويلة وهى ٩ قباب متجاوزة ترجع لما بين القرنين ٤-٦ هـ/١٠-١٢ وهى أقدم أمثلة القباب الضريحية القائمة فى ليبيا^(١٣٧) ولكن البلوشى "أفند هذا الرأي وذكر أن قلة المعرفة والخبرة الإنشائية الكافية هى التى منعت البنائين الليبيين من استخدام أشكال معمارية أخرى فى التسقيف فى الفترة ما بين القرنين (١-٩ هـ/٧-١٥ م) كما كانت تنقصهم التقاليد الفنية والمعمارية ، واعتبر هذا طرازا عثمانيا وافدا تم تنفيذه بأسلوب ليبي يراعى طبيعة المناخ والمساحة المتاحة للبناء^(١٣٨)) وبذلك كان انعدام الخبرة المحلية قبل مجئ العثمانيين احد الأسباب التى دفعت الى اعتبار هذا الأسلوب فى التغطية عثمانيا وافدا . ويؤيد هذا الرأي عدد من الأدلة التاريخية والأثرية ومن بينها ؛ أن هذا التقليد المعماري للمساجد ذات القباب قد نتج عن ممارسة عثمانية جذرتها فى ليبيا مؤسسات إدارية وعسكرية تركية وكذلك مستوطنون أتراك استقروا أو عاشوا فى ليبيا من خلال مجموعاتهم التجارية والثقافية والحرفية ، واعتبر هذا التقليد تطورا مشابها لما كان يجرى فى تركيا العثمانية^(١٣٩) ، وكما أن ليبيا خضعت للسيطرة العثمانية طيلة أربعة قرون (١٠-١٣ هـ/١٦-١٩ م) فان ذلك قابله ضعف فى التراكم المعماري الإنشائي والفني والاقتصادي لدى البنائين والمعماريين المحليين ، ولذلك لم يكن لديهم المهارات أو القدرات الكافية على تشييد قباب كبيرة الحجم لتحل مشكلة الفراغ الداخلي فى المنشأة ، مما جعلهم يستخدمون قبابا صغيرة ويكررونها لتغطية المساجد^(١٤٠) . يضاف الى ذلك أن طبيعة البيئة الليبية والتى لا يتوفر فيها أنواع جيدة من الأخشاب تصلح لتغطية مساحات واسعة كبيوت الصلاة فى المنشآت الدينية ، قد ساعد على انتشار أسلوب التغطية بالقباب ، وهو الأسلوب الذى توارثته بعض العائلات وبعض مهرة المعماريين الليبيين وتأصلت لديهم ثقافة وتقنية بنائها .

ويذهب بعض الباحثين الى أن المسجد ذى القببات ما هو إلا أسلوب إنشائي أو احد أنماط التغطيات التى يصح استخدامها فى أية منشأة دينية -بينها الزوايا -يعتبر واحدا من بين أساليب التغطية التى شاع استخدامها بصفة عامة على مر القرون العثمانية الأربعة^(١٤١) ، دون أن يذكر مصدره ، ويبرهن عليه بمثالين ، من وجهة نظره احدهما

١٣٦ - ميساننا ، المرجع السابق ، ص ٥٣-٥٤ ، ص ص ٧٠، ٧١، ٨١ .

١٣٧ - سعدي الدراجي ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢٨-٢٣٠ .

١٣٨ - على مسعود البلوشى ، المرجع السابق ، ص ص ١٥٣ ، ٣١٢ .

١٣٩ - انظر : على مسعود البلوشى ، ص ص ١٥٠، ١٤٩ .

٢٠٦ - على مسعود البلوشى ، وحدة الفراغ الداخلي فى الجوامع السلطانية ، مجلة آثار العرب ، العدد

الرابع ، ١٩٩٢ ، مصلحة الآثار ، طرابلس ، ص ص ٥٧، ٥٨ .

١٤١ - سمير عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥٠، ٢٤٩ .

منشأة " الزروق " التي يعتبرها من زوايا القرن ١٠هـ / ١٦م قبل دخول العثمانيين^(١٤٢) فان هذا الدليل مردود عليه بان المنشأة الحالية لجامع الزروق بعناصرها المعمارية ومن بينها القباب ترجع للفترة القرمانية^(١٤٣) وبخاصة في عهد أحمد باشا القرماني ١١٢٣-١١٥٨ هـ / ١٧١١-١٧٤٥م , والذي اعتنى في نفس عهده بمنشأة محمود خازندار والحق بها زاوية الشيخ ابن غلبون , كما يرجع لنفس الفترة إنشاء جامع يدر ثالث الأمثلة على استخدام القباب المتعددة في التغطية في منشآت مصراتة الدينية , وهو ما يؤيد الرأي القائل بشيوع نظام التغطية بالقباب المتعددة في العصر العثماني وداخله الفترة القرمانية في القرن ١٢هـ / ١٨م .

وكانت العمائر السلجوقية قد قطعت شوطا كبيرا في نظام التغطيات المقببة , حيث أوجدها المعماري وقام بتوزيعها على عمائره وفق أسلوب فني قائم على ثنائية متماثلة ومتوازنة^(١٤٤) ومن الأمثلة السلجوقية على ذلك مسجد كوك مدرسة بأماسية ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م , والذي تغطيه بالكامل القباب والأقبية^(١٤٥) . ثم طور المعماريون السلاحفة نظاما جديدا من البناء ذي القباب , يجمع بين قبة رئيسية تركز على دعائم بينما تغطي الأجزاء الخارجية بقباب اصغر^(١٤٦) , واستمر نظام التغطية بالقباب المتعددة في العمارة العثمانية في فترة ما قبل استانبول , كما في " اولوجامع " ٢٩٧-٨٠٢ هـ / ١٣٩٤-١٣٩٩ المغطى سقفه بعشرين قبة , وجامع " اسكى " في أدرنة ٨٠٧-٨١٧هـ / ١٤٠٤-١٤١٤م (٩ قباب) وكذلك في فترة ما بعد استانبول كما في جامع " زنكيرلى " في استانبول ق ٩هـ / ١٥م (٩ قباب) وجامع " بيالة " باشا ق ١٠هـ / ق ١٦م^(١٤٧) واستطاع المعماريون العرب في الشمال الافريقي عامة وفي ليبيا خاصة أن يدمجوا الأساليب العثمانية الوافدة مع الأساليب المغربية المحلية , فابتكروا من بينها أسلوبا يناسب التخطيط المتعامد (بلاطات عمودية وموازية) والذي انتشر في الغرب الاسلامى أكثر من شرقه , وكان على المسلمين في هذه المنطقة اتباع أفضل تلك الأساليب^(١٤٨) . وربما يكون المعمار قد اضطر الى التخطيط المتعامد نظرا لاستخدام أسلوب التغطية بالقباب , والذي وجد منه أمثلة لتسعة منشآت من بين عشرة في

١٤٢ - المرجع نفسه,ص ٢٥٥.

١٤٣ - انظر الدراسة الوصفية للمنشأة بالبحث .

٢١٠ - محمد محمد الكحلوى ,فكرة التماثل والاتزان في العمارة الإسلامية ,مجلة جمعية الأثاريين العرب ,المجلس العربى للدراسات العليا و البحث العلمي , العدد الأول يناير ٢٠٠٠, ص ١٧٢ .

١٤٥ - أصلان آبا , المرجع السابق ,ص ص ٨٨,٨٩.

146- Jamila Binous, and others Islamic Art in the Mediterranean , Early Ottoman Art , Istanbul 2002, p 27 .

147- Buhcet Unsal ,Turkish Islamic Architecture ,Seljuk to Ottoman ,p.20,pls a,b,c, p21 .

148- Lecien,(Golven) ,Islamic Architecture in north Africa, London 1984 ,p.141.

طرابلس تتبع التخطيط المتعامد ، وكلها ترجع للقرن ١٢هـ/١٨م^(١٤٩) ، فضلا عن أن انتشار أسلوب التغطية بالقباب المتعددة سهل في تنفيذه وتقل تكاليفه الإنشائية نظرا لكونها من نفس مادة البناء المتاحة ، كما انه يتماشى مع الأسقف المنخفضة والتي تميز تلك المنشآت في بلاد المغرب الاسلامي .

٦ - **مناطق الانتقال** :- كانت الحنايا الركنية من عناصر الإنشاء الهامة في منشآت مصراتة الدينية ، وقد بدأت الحنايا ذات هدف إنشائي خاصة في استخدامها الأول والمهم لتغطية مناطق الانتقال من المربع الى القبة ويرجح أن الأصل في المقرنص هو الحنية المفردة التي تساعد على تحويل حجرة مربعة الى عنق ثماني الأضلاع^(١٥٠) . والحنايا الركنية ذات أصل شرقي ورثها المسلمون عن الساسانيين ، وهي على هيئة حنية مجوفة ذات رأس من قبة نصف دائرية في مسقطها وواجهتها ، وأول مثل مؤكد التاريخ لها يوجد في باب العامة لقصر المعتمصم (الجوسق الخاقاني) بسامراء^(١٥١) . وانتقل استخدامها للمغرب حيث استخدمت لأول مرة في قبة الجامع بالقبيروان ٢٤٨هـ/٨٦٣م^(١٥٢) . ويدل استخدامها في منشآت مصراتة على استمرار الأساليب المعمارية المشرقية بجوار المغربية فيها ، وقد استخدمت تلك الحنايا في مناطق الانتقال للقباب المتعددة المتساوية والتي تغطي منشآت ؛ محمود خازندار (لوحة ١٨) ، وجامع يدر (لوحة ٣٠) ، وهما من منشآت ق ١٢هـ/١٨ م . أما المثلثات الكروية ؛ فقد انتشر استخدامها مع استعمال القباب ، وقد ورث المسلمون استخدامها عن البيزنطيين وذلك للانتقال بالمساحة المربعة لمنطقة مستديرة تركز عليها الحافات السفلى للقباب^(١٥٣)) والمثلثات الكروية المستخدمة في قباب مصراتة هي في منشأة دينية واحدة وهي جامع الزروق (لوحة ٤٠) ، وتأخذ أقطارها الكروية نفس الأقطار الكروية للقباب التي تحملها فبدت وكأنها جزء من القبة ، ولذا لا يظهر لها رقاب من الخارج .

٧ - **النوافذ** :- في محاولة من المعمار للتخفيف قدر الإمكان من ثقل الحوائط مع العمل على الاحتفاظ بمتانة البناء ؛ عمل نوافذ أحيانا تكون معقودة أو ذات أعتاب مستقيمة ، أما المعقودة فأمثلتها نافذة في جامع محمود خازندار وهي داخل حنية مجوفة في الجدار السميك (لوحة ٣٨) ، و٥ نوافذ معقودة بعقود نصف دائرية داخلها نوافذ توأمية عقودها مدببة بجدار القبلة في جامع الشيخ (لوحة ٣٧) ، ولا شك أن النوافذ المعقودة يتوزع النقل في جدرانها على الجانبين على أكتاف داخل الجدران تفصل بين النوافذ ، وفي جامع المحجوب ٥ نوافذ معقودة بجدار القبلة (لوحة ٣٦) فتحت في

١٤٩ - على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد ، ص ص ٢٣٧-٢٣٩ .

١٥٠ - محمد عبد الستار ، الوظيفة ، ص ص ٤٥٢ ، ٤٥١ .

١٥١ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

١٥٢ - احمد فكرى ، المسجد الجامع بالقبيروان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٦ ، ص ص ١٠٢ ، ٩٩ .

١٥٣ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ص ١٤٢ ، ١٤١ .

نهايات الأقبية التي تغطي بيت الصلاة وهو حل إنشائي فريد بين منشآت مصراتة جمع فيه المعمار بين الاحتفاظ بسمك القبو وفتح نهايته على هيئة عقد نصف مستدير كنافذة فى مستوى يعلو الجدران ولا يشكل ثقلا زائدا عليها . أما النوافذ المربعة ذات الأعتاب المستقيمة ؛ فنرى أمثلتها فى جامع الزروق وهى ٤ نوافذ موزعة على جدران بيت الصلاة بطريقة متناسبة : ٢ فى جدار القبلة ونافذة بكل من الجدار الجنوبي الغربي والشمالى الشرقى , وكذلك نراها فى جامع الشيخ فتح الله ٦ نوافذ وهى صغيرة الفتحات ولكنها فتحت فى الجدارين الشمال الشرقى والجنوبى الغربى , فيما يقابل ٣ أقبية موازية لجدار القبلة , وهى تقوم بدور إنشائي هام فى تخفيف ثقل نهايات الأقبية على الجدارين (لوحة ٣٤) .

ب - عناصر المنفعة : - تتصل عناصر المنفعة فى المنشأة الدينية بالوظيفة التى يؤدىها كل عنصر من العناصر المعمارية ؛ ومن بينها , البلاطات والصحن واستخدام الأعمدة ووجود الميضأة والمحراب , والنوافذ , والمنبر , والمآجل أو الصهريج والمئذنة أو (الدرج) , والمزولة الشمسية , والضريح , وفيما يلي تحليل كل عنصر من هذه العناصر :

١- **البلاطات :** أعدت البلاطات فى المساجد الجامعة وفى بيوت الصلاة الملحقة بالزوايا والمجمعات لكي تستقبل المصلين , فقد غطيت أسقفها بالأقبية والقباب لتحميهم من حرارة الشمس ومن برد ومطر الشتاء , وتقام بهذه المنشآت صلاة الجمعة والجماعات فزيد فى مساحتها واستخدمت فيها الأعمدة تحمل البوائك بدلا من الدعائم مما ساعد على توفير أكبر مساحة خالية لإقامة الصلاة بها^(١٥٤) . وقد ارتبط تخطيط الجامع بالبلاطات سواء العمودية أو الموازية أو العمودية فى أن واحد على جدار القبلة فى المنشآت الدينية بمصراتة , وكانت مداخلها مباشرة تؤدى الى تلك البلاطات مباشرة فتساعد على سهولة دخول المصلين إليها .

ويمكن تحديد متوسط أعداد المصلين المترددين على كل منشأة دينية بحسب نحو متر مربع واحد لكل مصلى , فمثلا فى جامع الزروق الجمعة (١١ × ١٦ = ١٧٦ م^٢) وهو تقريبا نفس عدد المصلين (, وفى جامع الشيخ المحجوب (١٢ × ١٥ = ١٨٠ م^٢) وفى جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز (١١ × ١٥ = ١٦٥ م^٢) وفى جامع الشيخ فتح الله (١٠ × ١٢,٥ = ١٢٥ م^٢) , وفى جامع محمود خازندار (٨,٥ × ١٠ = ٨٥ م^٢) , وفى جامع يدر (١٠ × ١٨ = ١٨٠ م^٢) , وفى جامع بن نصر (١٠ × ١٢ = ١٢٠ م^٢) . ويمكن ان يزيد العدد فى كل منشأة حسب حاجة الصلاة , فيمكن الصلاة فى الزوايا الملحقة أو الصحن المشتركة بين المساجد والزوايا .

^{١٥٤} - محمد عبد الستار , الوظيفة , ص ص ٢٧١-٢٧٨ .

٢- **الصحن:** - للصحن دور هام في مساجد المغرب فهو يعتبر امتدادا لظلة القبلة و يصلى فيه المسلمون في حالة ازدحام المسجد بالمصلين , وتحتوى الصحون أحيانا على مواجل "صهاريج" تجمع المياه لخدمة المسجد^(١٥٥), والصحن من الوجهة الوظيفية من العناصر الهامة في العمارة الدينية, واستمرار استخدامه بالرغم من اختلاف المؤثرات المناخية والدينية والثقافية والاجتماعية يدل على نجاحه كحل معماري أو كنظرية ثابتة محققة كافة النواحي الوظيفية^(١٥٦), وقد استغل المعمار مساحة الصحن في منشآت مصراته الدينية كما في منشآت (الزروق, المحجوب, الشيخ, بيدر) فى إقامة زوايا ملحقة على حسابها, فى حين ظلت بعض الصحون فيه مشتركة بين المسجد والزوايا وهى فى المحجوب (٢,٥×٢ م) وفى محمود خازندار وزاوية ابن غلبون (٢,٥×٢ م), وفى الشيخ فتح الله (٧×٢ م), فى حين تم توسعة بيت الصلاة بجامع الشيخ على حساب الصحن الذى كانت مساحته (٦,٥×٨ م) (شكل ٤), وهدمت الزاوية القديمة الملحقة بجامع الزروق من الناحية الشمالية الغربية وأعيد بناء زاوية الشيخ المدني .

٣- **الميضأة:** - أنشئت الميضأة كوحدة معمارية ملحقة بالمنشأة الدينية لغرض الوضوء , وخضع موقعها من الجامع وتخطيطها للأحكام الفقهية المتصلة بالطهارة , فهى تكون خارجة عن ساحته , ويجرى الماء إليها من ماجل أو بئر وهى من حيث الموقع أو المساحة توضع فى الركن الشمالي أو الجنوبي للمنشأة داخل جدرانها الخارجية ومتصلة بالوحدات المعمارية الأخرى, ووجد تناسب بين حجم المنشأة وحجم ميضأتها^(١٥٧). وقد تبقت ميضأة جامع محمود خازندار ومساحتها (٧×٢,٥ م) (شكل ٥ لوحة ٨) لها مدخل معقود بعقد موتور, وتفتح على صحن مشترك بين الجامع وزاوية ابن غلبون الملحقة به (هدمت الآن وأعيد بناؤها) ويغضى سقفا قبو نصف برميلي , ويتم تزويدها بالماء عن طريق أواني فخارية؛بقى بعضها بداخلها (لوحة ٣٥) أما موقعها من المنشأة فهى فى الشمال الغربي من الجامع بجوار الركن الشمالي لها .

٤- **المحراب:** - يعتبر المحراب من أهم عناصر الانتفاع فى المنشأة الدينية, فهو يحدد اتجاه القبلة وهو مكان لوقوف الإمام حتى لا يأخذ حيزا لصف يمكن أن يشغله المصلون خلفه كما يعمل على ترديد صوته عند الدخول فيه^(١٥٨). وتحدد المحاريب فى مساجد المغرب فى الجهة الجنوبية الشرقية , والغريب أن المغاربة دائما ما يبنون مساجدهم منحرفة عن اتجاهها الصحيح^(١٥٩) ويتضح هذا الأمر فى بعض منشآت مصراته التى تم تصويب وضع اتجاه المحراب فيها عندما أعيد بناؤها فى فترات

١٥٥- محمد محمد الكحلوى, عمائر الموحدين, ص ٣٥١ .

١٥٦- محمد عبد الستار, الوظيفية, ص ٢٥٧ .

١٥٧- محمد عبد الستار, المرجع نفسه, ص ص ٢٥٣, ٢٥٥, ٢٥٤ .

١٥٨- احمد قاسم الجمعة, المرجع السابق, ص ٤٣ .

١٥٩- محمد محمد الكحلوى, عمائر الموحدين, ص ٣٤٥ .

لاحقة على تاريخ تأسيسها . وفي أغلب منشآت مصراتة يتوسط المحراب جدار القبلة ، عدا المنشآت التي زيد في مساحتها مثل جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز . واغلب المحاريب في منشآت مصراتة الدينية عبارة عن كتلة من البناء تبرز عن سمت جدار القبلة للداخل وتجويفه داخل هذه الكتلة وهو ليس عميقا بداخلها ويقوم عقده على كتفين صغيرين أو عمودين من الرخام ملتصقين بالبناء .

وتختلف أشكال عقود المحاريب فيما بينها : فمنها المتجاوز لنصف الدائرة كما في جامع الشيخ فتح الله (لوحة ٢٥)، ومنها المدبب كما في جامع الشيخ (لوحة ٢٦)، وجامع يدر (لوحة ٢٧)، وجامع المحجوب (لوحة ٢٣)، ومنها ذو العقد الموتور كما في جامع محمود خازندار (لوحة ٢٨)، ومنها النصف دائري كما في محراب الزروق (لوحة ٢٢).

وتتنوع أيضا أشكال الأعمدة أو الأكتاف البنائية التي تقوم عليها هذه العقود فنجد عقودا تقوم على أكتاف من البناء رفيعة كجزء منه بارز وهو ما نراه في كل من محاريب (الزروق ، والشيخ ، محمود خازندار) أو تقوم العقود على أعمدة رفيعة من الرخام لها تيجان مربعة كما في محرابي جامع الشيخ المحجوب (لوحة ٢٣) وجامع الشيخ فتح الله (لوحة ٢٥) ويتشابه معهما محراب جامع يدر إلا أن عموديه رقيقان ولهما تاجان مستديران وكسي برخام حديث ملون (لوحة ٢٧) . أما تجويف المحراب فغالبا داخل كتلة البناء كما في محاريب (المحجوب ، والشيخ ، والزرورق ، والشيخ فتح الله) . وغطيت أجزاء المحراب -الواجهة والعقد والكتفين والتجويف - بطبقة من الجص في محرابي (الزرورق والمحجوب) وهي تخفى وراءها المواد الأساسية لبنائها . وأغلب هذه المحاريب خالي من الزخارف ، إلا محرابين منها لهما زخارف بسيطة وهما : (الزروق ، محمود خازندار) فالأول زخارفه هندسية عبارة عن إطارات حول واجهة المحراب محفورة غائرة تحصر شكل دائرة أعلى صنجة مفتاح العقد ومدهونة باللون الأخضر ، وفي كتفي المحراب قنوات طولية . أما محراب جامع خازندار فزخارفه تعلو عقد الواجهة وهي عبارة عن مربعات تحصر داخلها أشكال زهريات نباتية وهي محفورة في الحجر بشكل هندسي كما لو كانت على شكل زخارف إشعاعية من مركز واحد (لوحة ٢٤ ، شكل ١٦) .

٥- المنبر : - يعتبر المنبر من عناصر المنفعة الهامة والضرورية المرتبطة بالمنشآت الدينية التي تقام بها الصلوات الجامعة بل هو دليل على ذلك وكان هناك نوع من الموازنة بين حجم المنبر وارتفاعه وبين ظل القبلة (١٦٠) ، والمنابر القائمة في بعض منشآت مصراتة الدينية هي منابر خشبية "حديث الصنع" وهي تتميز بأنها قليلة الارتفاع ويتراوح عدد درجاتها ما بين ٤:٦ درجات كما في منبر (جامع خازندار - منبر جامع الشيخ) وهذه الدرجات يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠:٢٥ سم . وكلما زاد

١٦٠ - محمد عبد الستار ، الوظيفية ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

ارتفاع الدرجة ، قل معه إمتداد المنبر أفقيا حتى لا يشغل حيزا من مساحة بيت الصلاة كما أن ارتفاعه يناسب مساحة الجامع لكي يرى المصلون الخطيب ويسمعونه ، وفي الهبوط بعد الخطبة يصل منه الى اقرب موضع من المحراب ليؤم المصلين فيه . ولا شك في ان الجوامع التي لم يبق بها منابر الآن كان بها في الأصل منابر وبعد أن انتقلت الجمعة منها الى مساجد جديدة مجاورة رفعت منابرها منها كما في جامع الشيخ الزروق (ج. الجمعة) الذي كان يتكون من أربع درجات وكان يقع عند عين المحراب^(١٦١) وكذلك كان منبر جامع المحجوب يقع عند عين المحراب ، وهو خشبي زخارفه بسيطة وله ٤ درجات من الخشب^(١٦٢) .

وتتكون أجزاء المنبر في منشآت مصراته من قاعدة تحمل أجزاءه، وبالمقدمة فتحة للمنبر للصعود والنزول بدون باب، تؤدي الى درج ينتهي بجلسة للخطيب، والريشتان تأخذان شكل متوازي أضلاع يعلو كل ريشة سياج خشبي زخارفه مفرغة غالبا يستند عليه الخطيب في صعوده ونزوله وأسفل جلسة الخطيب بابان في جانبي المنبر (بابا الروضة)، ويعلو جلسة الخطيب جوسق أو قلة منبر كما هو معهود في منابر طرابلس أو الخمس^(١٦٣).

٦- المئذنة :- تعتبر المئذنة من عناصر الانتفاع الهامة بالمنشآت الدينية ، والمعروف أنها تنشأ بالمساجد الجامعة ليعلن المؤذنون من عليها للصلاة ثم ألحقت بعد ذلك بمنشآت دينية أخرى ، وهي من العناصر الأولى في التعبير عن كنه المنشأة^(١٦٤) ، واتخذت مآذن المغرب والأندلس الشكل المربع والذي اقتبسه المسلمون من شكل "الصوامع الكنسية" في الشام ، وقدر له أن يصبح الطابع المحلي لمآذن المغرب^(١٦٥) وبالرغم من أن طراز المآذن في طرابلس قد سار على نفس طراز المآذن المربعة في غرب العالم الاسلامي مع إطفاء طابع البساطة في التكوين المعماري والزخرفي عليها^(١٦٦) إلا أن منشآت مصراته الدينية خلت من المآذن بشكلها المعروف واستبدلتها بدرج يؤدي الى سطح المنشأة أو البسطة يقف عليها المؤذن تسمى حاليا "المئذنة السلم" وقد وجد لها انتشار في ولاية طرابلس حيث أحصى لها ما يقرب من ٢٦ مثلا فيها

١٦١ - موسوعة ج ١ ، ص ١٥٧ .

١٦٢ - المرجع نفسه ج ١ ، ص ١٦٧ .

١٦٣ - انظر :صلاح البيهسي ،العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول ،ص ١٨٩، رمضان شقلوف وآخرون ، موسوعة ج ١ ، ص ٢٠٦ .

١٦٤ - محمد عبد الستار ، الوظيفية ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

١٦٥ - سالم ،العمارة الإسلامية في الأندلس ،ص ٣٨٥ ،المآذن المصرية ، الإسكندرية ١٩٥٩ ، ص ٦٠ - ٦٣ .

١٦٦ - صلاح البيهسي ،طرابلس الغرب دراسات في التراث الاسلامي الفني ، دار الأفاق العربية ،القااهرة ٢٠٠٤ ، ص ٤٥ .

(١٦٧) وقد هدمت معظم المآذن بمنشآت مصراثة وذلك لعدة أسباب ؛ منها بناء مآذن جديدة تأخذ الشكل الإسطواني المتطور والشرفتين والقمة المدببة العثمانية كما في كل من جامعي الشيخ فتح الله ويدير، والى عهد قريب كان بعض هذه المآذن قائما كما هو في جامع المحجوب بجوار الجدار الجنوبي الغربي وهدمت لبناء مسجد جديد وما زال مكانها واضحا (لوحة ٤٨). وكان جامع الزروق "مئذنة سلم" وكذلك جامع الشيخ في الزاوية الشمالية منه (١٦٨). كما كان لزاوية ومسجد المنتصر درج حجري ملتو يصعد من عليه لسطحها وكان يقع في الركن الشمالي منها (١٦٩)، وكان للجامع العالي مئذنة مئمنة (لوحة ٥٨) هدمت مع إعادة بنائه حديثا .

أما المثال الوحيد الباقي في منشآت مصراثة فهو الدرج الحجري بجامع محمود خازندار (لوحة ٤٨) ويتكون من ٨ درجات ارتفاع كل منها ٢٠سم ، تؤدى البسطة مربعة الشكل ضلعها ٧٥سم ، يحيط بها شرفة بالبناء عبارة عن ٤ مداميك من الحجر تتخللها ٦ فتحات صغيرة (لوحة ٤٩) ، وتشابه هذه الشرفة الى حد ما الشرفات التي تنتهي بها المآذن المربعة في طرابلس مثل شرفة مئذنة جامع الناقة (١٧٠) .

ويشير " البلوشي " الى أن وجود هذه الشرفة تطور وظيفي لحق بهذا النوع من المآذن ، حيث يكون حماية للمؤذن من العوامل المناخية المختلفة من مطر ورياح أو حر شديد أو ربما للانتظار بها قليلا حتى يدخل وقت الأذان (١٧١). في حين يرى بعض المستشرقين أن هذه الشرفة شبيهة ببرج المراقبة - على افتراض التحليل اللغوي لكلمة صومعة والتي ربما تعنى كوخا "بسقف مدبب " - وان استمرار استخدام هذا النوع من المآذن الخالية من الزخرفة يرجح أن مرجعه الى رؤية دينية محافظة واستمرار للتقليد المعماري المحافظ المعبر عن بساطة الإسلام و المعمار المسلم (١٧٢) ولكن هذا القول مردود عليه بأن هذا الوصف في غير موضعه تماما ، فأى برج للمراقبة هذا الذي لا يتجاوز ارتفاعه ١٠ م وهو قائم ليس داخل العمران وليس بالسواحل ، بل إن المئذنة السلم في بداية عهدها ليس من الضروري أن يقف المؤذن عند نهاية سلمها ليؤذن وإنما هو وسيلة للصعود للسطح (١٧٣) .

١٦٧ - على مسعود البلوشي ، المئذنة السلم في معمار المسجد الليبي ، مجلة كلية الآداب والتربية ، العدد ١٩ ، ١٩٨٠ ، ص ٨١ .

١٦٨ - موسوعة ج ١ ، ص ١٦١ ، على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد الليبي ، ص ٢٥٧ .

١٦٩ - موسوعة ج ١ ، ص ١٧٦ .

١٧٠ - على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد الليبي ، شكل ٥٠ ، ص ٤٣٦ .

١٧١ - على مسعود البلوشي ، المئذنة السلم ، ص ٧١ .

238- Schackt , (Joseph) , Ein Archaischen Minaret Typ in Egypten und Anatolian , Ars Islamica , University Michigan Publication , Ann Arbor, 1938 , Vol.5 , p 46, Schackt, (further Notes on the stair case Minarets, Ars Orientalis , University of Michigan , 1961, vol 4, p141.

١٧٣ - سعدي الدراجي ، زليتين ، ص ٢١٥ ، ٢١٤ ، سمير عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

وفي حين يرى "شاخت" وأيده في ذلك البلوشي أن طراز "المنذنة السلم" الدرج الصاعد لسطح المنشأة بديلا عن المنذنة المستقلة المعروفة قد استخدم في مصر في فترة مبكرة ومنها انتقل الى شمال أفريقيا على اعتبار ان مآذن جامع عمرو الأصلية كانت تتخذ نفس الأسلوب وكان ذبوعه مرتبط بالمساجد البسيطة في ليبيا والخشنة البناء الخالية من الزخرفة (١٧٤).

وعلى جانب من الدرج "المنذنة السلم" في جامع محمود خازندار توجد مزولة شمسية (لوحة ٥٠) رسمت خطوطها بالحفر الغائر على لوحة حجرية , وبوسطها مؤشر معدني يحدد أوقات الصلوات النهارية حسب وقوع ظلّه على الدرجات الفلكية تبعا لحركة الشمس فالظهر عند تعامد الظل على خط الزوال , وبينه وبين العصر أربعة خطوط يمثل كل منها ١٥ درجة فلكية أي ساعة زمنية (١٧٥). وقد وجدت أمثلة للمزاول الشمسية في طرابلس في كل من جامع مولاي محمد (١٧٦). وجامع "درغوت" التي ظلت قائمة الى وقت قريب. وهي ساعة قد رسمت خطوطها ودرجاتها الفلكية على لوحة من الرخام كتب عليها "عمل مصطفى الساعاتي بتاريخ ٩٩٩هـ/ 1590م" ويعتبر هذا التاريخ أقدم تاريخ يعثر عليه لهذا الجامع (١٧٧).

٧ - **الماجل** : - يعتبر الماجل من عناصر الانتفاع الهامة في المنشأة الدينية , والماجل (حرفت الى "ماجن" في العامية الليبية) في اللغة الماء الكثير المتجمع داخل خزان في تخوم الأرض وهي ترادف " صهريج " (١٧٨) . وكان يوجد في بعض المنشآت في الصحن أو في خارج المنشأة , مثل الماجل القائم بمجمع الشيخ المحجوب والذي شيد في باطن الأرض بجوار مدخل الزاوية الجنوبي الغربي وهو مبنى من الحجر الجيري مع ملاط قوي ومونه شديدة التماسك من الجص لحفظ الماء , ويصل عمقه الى ٥ م ويأخذ شكلا مستطيلا طوله ٧ م وعرضه ٢,٧٥ م وهو مغطى بقبو نصف برميلي , وله فتحتان طمست أحدهما وبقيت الثانية والتي كانت في الغالب لاستقبال الماء من اعلى السقف عن طريق الميازيب وهي مغطاة بتاج رخامي وضع مقلوبا (لوحة ٤٧) .

٨ - **الضريح** : - يعتبر الضريح من عناصر الانتفاع التي الحق بكثير من المنشآت الدينية خاصة (الجوامع) , ويمكن القول بأن الضريح قد يكون شيئا رئيسيا في منشأة

١٧٤ - على مسعود البلوشي , تاريخ معمار المسجد الليبي , ص ١٣١ .

١٧٥ - انظر : جمال خير الله , الساعات الشمسية في مصر الإسلامية دراسة أثرية فنية , رسالة دكتوراه غير منشورة , جامعة طنطا ١٩٩٥ .

١٧٦ - ميساننا , المرجع السابق , ص ٨٨ .

١٧٧ - على حاتم اولجان (ترجمة عبد الكريم أبو شوير) , مجمع الرئيس درغوت المعماري بطرابلس , مجلة آثار العرب , فصلية متخصصة , العدد الثالث , الفاتح ١٩٩١م ص ٨١ .

١٧٨ - سعدي الدراجي , زليتن , ص ٣٠٣-٣٠٦ .

دينية بأكملها , ويمكن اعتبارها ملحقة به (١٧٩) , ولكن في مصراتة نجد أن معظم أضرحتها قد ألحق بالمنشأة نظرا لكون المؤسسين أو القائمين على هذه المنشأة كانوا أئمة وعلماء بها قبل وفاتهم مثلما نراه في أضرحة (المحجوب , الشيخ فتح الله , احمد الشريف بجامع يدر , وابن غلبون بجامع خازندار) , في حين يعتبر ضريح الزروق مثلا واضحا كمركز لمنشأة دينية , حيث قام العثمانيون بإنشاء مدرسة ومن قبل زاوية كبرى بجواره . وفي الغالب لا يتصل الضريح ببيت الصلاة إلا عن طريق فتحة شبك , ويقع بينهما جدار عازل على شكل حرف (L) لعزل الضريح عن بيت الصلاة , ينزوي في ركن منه وله مدخل مستقل ضيق خاص به (١٨٠) .

ج - عناصر الاتصال والحركة : - تعتبر عناصر الاتصال والحركة من العناصر الهامة التي تربط أجزاء المبنى بعضها ببعض وتصل المبنى بما يحيط به من شوارع وما يلحق به من وحدات , وحددت الشريعة الإسلامية حقوق الطريق , فحددت العلاقة بين المباني وبين ما تطل عليه من شوارع (١٨١) , وعناصر الاتصال متعددة ; تبدأ بالدرج الذي يربط بين المنشأة الشارع وبين المنشأة نفسها , ثم فتحات الأبواب التي تربط وحدات المبنى , ويليهما الصحن الذي يصل بينها .

وبالنسبة لمنشآت مصراتة الدينية فإنها يتوصل الى مداخلها مباشرة دون الحاجة الى درج حيث أن أرضية المنشأة بمستوى أرضية الشارع , وذلك عدا المدخل الحديث لجامع المحجوب الفاصل بينه وبين الجامع الحديث البناء , وقد أقيمت ٣ منشآت من بين المنشآت الباقية بمصراتة فوق ربي عالية وهي جامع الزروق وجامع الشيخ فتح الله ومن قبلهم الجامع العالي بوسط مصراتة , ويتوصل للمنشأة عبر طريق مائل ممهد دون الحاجة لدرج , ولكن يؤدي في نفس الوقت إلى بسطة مربعة تتقدم المدخل وهي تشكل مع حنيته مساحة تتسع للخارجين بعد الصلاة من المنشأة بأعداد كبيرة .

وتتعدد مداخل المنشأة حسب تعدد وحداتها ووظائفها , فنجد مدخلين للمنشأة ذات الوظيفة الواحدة كجامع الزروق (لوحات ١ , ٢) ومحمود خازندار (لوحة ٥٤) وجامع بن نصر , وثلاثة مداخل في كل من جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز (لوحة ٧) , وجامع الشيخ فتح الله (لوحات ٥ , ٦) وجامع المحجوب (لوحات ٣ , ٤) , والمنشأتين الأخيرتين من طراز المجمعات المعمارية : فنجد مدخل رئيسي للمنشأة ثم مدخل الجامع من الزاوية , ومدخل للضريح من الصحن , أما جامع الزروق ومحمود خازندار فكل منهما له مدخلان أحدهما شمالي غربي على محور المحراب , والثاني يربط الجامع مع الزاوية الملحقة به (هدمت زاوية الزروق الآن) .

١٧٩ - محمد عبد الستار , الوظيفة , ص ٣٤٩ .

246-Marcais (G), Remarques Sur LES Mederasas Funerares en Berberie , In Melanges Gavdefroy - Demonbynes , Le Caire ,1934, p.259 .

١٨١ - محمد عبد الستار , الوظيفة , ص ٣٨٥ .

وبالرغم من أن ظاهرة تعدد المداخل كانت منتشرة في جوامع المشرق خاصة العراق منذ العصر العباسي الأول إلا أن ذلك فيما يبدو كان مرتبطا باتساع مساحتها وكثرة أعداد المصلين فيها ، أما المنشآت المغربية فغالبا ما كانت تسير على الأسلوب الشامي في مداخل المنشآت ، حيث كان يوضع مدخل واحد في محور الجدار المواجه لجدار القبلة ومدخل في كل من الواجهتين الجانبيتين (١٨٢) .

وبمقارنة المداخل في منشآت مصراتة؛ نجد أن هناك مدخلا مباشرا يؤدي إلى بلاطات بيت الصلاة مباشرة على الأقل في كل منشأة و للربط بين وحدات المنشأة أوجد المعمار مدخلا من الصحن أو من الزاوية لبيت الصلاة ، كما وجدت مداخل للزوايا الملحقة بالمساجد الجامعة وهي مداخل رئيسية لتلك الزوايا من الواجهة مباشرة كما في زاوية المحجوب (لوحة ٣) وزاوية الشيخ فتح الله (لوحة ٥٢) وذلك بسبب ازدواجية الوظيفة للمنشأة بين الصلاة والتصوف أو التدريس. وبشأن مراعاة حق الطريق فنجد أن هناك حرصا على أن تكون المنشأة بمحاذاة الشارع وبخاصة المنشآت المتصلة بعدة شوارع كجامع الشيخ (لوحة ٣٧) وأما المنشآت الأخرى فهناك مساحة بينها وبين الشارع الذي تطل عليه كما في (المحجوب-يدر- خازندار-بن نصر- الشيخ فتح الله) .

أما بالنسبة للصحن أو الفناء فكان في العمارة الدينية الإسلامية مكونا عنصرا رئيسيا نتج عن تطور تخطيط الجامع واشتماله على أربعة أروقة أحاطت به (١٨٣) . ويعتبر الصحن بجانب ما يؤديه من وظائف أخرى من أهم عناصر الاتصال والحركة بالمنشأة الدينية بل يمكن اعتباره صالة التوزيع الرئيسية التي تصل بين الأروقة فلا بد للمصلين من المرور به دخولا أو خروجا (١٨٤) .

فنجد أنه في منشآت مصراتة ذات الصحن المشترك بين الجامع والزاوية والضريح ، يتوصل من الصحن لكل وحدة من هذه الوحدات أو الى اثنين منها على الأقل إذا كان مدخل الضريح من الخارج ، والحالة الأولى نراها في جامع الشيخ فتح الله ، وجامع يدر ، وجامع المحجوب أو يتوصل منه إلى الميضاة والزاوية مع مدخل الجامع كما في محمود خازندار ، وربما تشابهت صحن المساجد الأخرى مع هاتين الحالتين لولا هدم الصحن وشغل مساحته بجزء من بيت الصلاة كما في جامع الشيخ أو هدم الزاوية الملحقة كما في جامع الزروق . وقد اختلفت أشكال المداخل في منشآت مصراتة من حيث عقودها ، فنرى منها المدخل ذو العقد نصف الدائري كما في مدخل الزروق (لوحة ١) ومدخل المحجوب (لوحة ٤) والمدخل ذو العقد المتجاوز لنصف الدائرة كما في مدخلي الجامع والزاوية في مجمع الشيخ فتح الله (لوحات ٥٢، ٦، ٥) وأيضا

١٨٢ - فريد شافعي ، العمارة العربية، ص ٣٧٥ .

١٨٣ - محمد عبد الستار ، الوظيفية ، ص ص ٢٥٩، ٢٥٧ .

١٨٤ - محمد عبد الستار ، المرجع نفسه ، ص ٣٩ .

المدخل ذو العقد الموتور في مدخل الميضاة من صحن جامع محمود خازندار (لوحة ٨) والعقد الخلفي لمدخل جامع الشيخ فتح الله وكذلك منها العقد المدبب كما في مدخل جامع الشيخ الرئيسي (لوحة ٧) ، وكان معظم تلك المداخل ضيقة الفتحات وربما يرجع ذلك لثقل الأسقف ذات القبة أو القباب على الجدران من ناحية ولتخاشي أثر المناخ الصحراوي ذي الحرارة الشديدة صيفا والبرودة القارصة شتاء على المنشأة.

د - عناصر التهوية والإضاءة : - تنقسم عناصر التهوية والإضاءة الى النوافذ بأنواعها المتعددة والأبواب ، والأفنية المكشوفة ، والقباب أو الأقبية .

وبالنسبة للنوافذ ؛ فإن البلاطات تتمتع بإضاءة طبيعية كافية نهارا أوفت بها صفوف النوافذ السفلية او العلوية المتسعة ، وساعدت فيها النوافذ ضيقة الفتحات ذات الغرض الإنشائي ، وأما النوافذ الكبيرة نجد في الزروق ٤ نوافذ بواقع ٢ في جدار القبلة ونافذة في كل من الجدارين المتعامدين عليه لتوزيع الإضاءة بالتنسيق مع فتحتين للمدخلين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي . وفي جامع خازندار ٤ نوافذ متشابهة في وضعها مع مثيلاتها في جامع الزروق (لوحة ١٨) ، أما في جامع المحجوب فهناك ٥ نوافذ معقودة بجدار القبلة في نهايات الأقبية مع نافذة مربعة للتخفيف في البلاطة الثانية (لوحة ٣٦) ، وفي جامع الشيخ فتح الله ٣ نوافذ متسعة سفلى ومربعة في ثلاث جدران القبلة والمتعامدين عليه بالإضافة لفتحات علوية ضيقة في نهايات الأقبية (لوحة ٣٤) ، وفي جامع الشيخ ٥ نوافذ توأميه بجدار القبلة (لوحة ٣٧) وتعتبر النوافذ التوأمية من أهم ملامح الثنائية في العمارة الإسلامية تلك الثنائية التي تجمع بين نافذتين متجاورتين ومتماثلتين وقد عرف هذا النوع من النوافذ التوأمية في عمائر الغرب الإسلامي^(١٨٥) ، ويذكر أن الفتحات المزدوجة التي تركز على أعمدة أو بدونها والتي كثر استخدامها في الخانقاوات المملوكية بالقاهرة ، قد انتشرت من قبل في آسيا الصغرى منذ ما قبل العصر الهلنستي، وفي "جنوات" بسوريا وفي العمائر البيزنطية^(١٨٦) ، كما توجد ٥ نوافذ بجدار الواجهة الرئيسية معقودة بعقود مدببة، وكذلك في جامع بدر ٣ نوافذ متسعة سفلى في جدار القبلة والمتعامدين عليه، هذا بالإضافة الى النوافذ التي فتحت في بعض القباب وبخاصة قباب المحراب كما في الزروق و خازندار وكذلك زودت بعض الأضرحة بنافذة واحدة شبيهة بنوافذ البلاطات ولكنها ضيقة ؛ كما في ضريح ابن غلبون الملحق بخازندار، ونافذة ضريح المحجوب التي تفتح على بيت الصلاة (لوحة ٤٤) ، ونافذة ضريح الشيخ فتح الله التي تفتح على الصحن، ونافذة ضريح أحمد الشريف بجامع بدر التي تفتح على صحنه أيضا . وتقوم النوافذ بوظيفتي الإضاءة والتهوية ،

^{١٨٥} - محمد محمد الكحلوي ، فكرة التماثل والاتزان في العمارة الإسلامية ، ص ١٧٤ .

^{١٨٦} - دولت عبد الله ، المرجع السابق ص ٢٧٠ .

. Hautecour ,Wiet ,Les Mosques du Caire ,Paris ,1932 ,p 276 .

وهو دور هام في منشآت مصراتة الدينية نظرا لضيق فتحات المداخل وبسبب الأسقف ذات الأقبية والقباب ,وتكمل فتحات الأبواب هذا الدور الوظيفي وبخاصة أنها وبحسب ارتباطها بالناحية الإنشائية تفتح في جدران مخالفة لتلك التي توجد فيها فتحات النوافذ غالبا وتساعد معها على تجديد حركة الهواء داخل المنشأة .

أما الصحن والأقبية المكشوفة فهي تؤدي وظيفة مرشح للهواء والأترربة , تتلقاه الوحدات المعمارية منها , وتكسر أيضا حدة الضوء , كما تحتفظ بالدفء في الشتاء (١٨٧) . وتتناسب مساحة الصحن غالبا في منشآت مصراتة مع مساحة المنشأة في المساحة إلا في القليل منها والذي ربما عندما ألحقت بها زاوية جاءت على حساب مساحة الصحن فيها كالمحجوب (٢,٤٠×٥ م) ولكن الصحن الباقي على حاله في منشأة محمود خازندار بين الجامع والزواية الملحقة به (٢م٦,٥×٦) هو بمثابة حلقة وصل بين وحدات المبنى وفي نفس الوقت المتنفس الهوائي لها ومصدر الضوء لكل من مدخل الجامع ومدخل الزاوية ومدخل الميضأة (لوحة ٩) .

ويذكر احد الباحثين أن المعماريين الليبيين لجأوا في مدن كثيرة الى إيجاد عمائر مغطاة لا تشمل على عنصر الصحن وتستمد هذه العمائر الإضاءة من المداخل والنوافذ , وان هذا الطراز جاء نتيجة المؤثرات البيئية حيث تم غلق المسجد بكامله أمام الأمطار والبرودة خاصة في فصل الشتاء (١٨٨) .

في حين ذكر باحث آخر أن المنطقة الغربية التي تتميز بمناخ دافئ مقارنة بالجبل الأخضر (الشرقي) انه من بين زواياها من لا صحن لها وهي صالح بن حمودة , وفتح الله بمصراتة (١٨٩) , والحقيقة أن منشأة صالح بن حمودة مندثرة , ومجمع الشيخ فتح الله له صحن متسع ومشارك بين الجامع والزواية (لوحة ١٤) , وإذا كان هناك بعض الأمثلة المغلقة حاليا (بدون صحن) كما في جامع الشيخ , والزروق , والمحجوب , فذلك لان مساحة الصحن قد تغيرت بعد تأسيسها بالحقاق وحدة أخرى كالزاوية في الزروق والمحجوب أو أضيفت مساحة أخرى لبيت الصلاة كما في جامع الشيخ .

وهناك ميزة أخرى في نظام تهوية المنشآت المصراتية وهو خاص بحركة دوران الهواء داخل المنشآت مع الأسقف ذات القباب أو الأقبية التي تزيد من ارتفاع الأسقف ومع جدران سميكة تزيد من العزل الحراري عن الخارج , والتهوية عن طريق وسائل أخرى كالفتحات في الأبواب والنوافذ أصبحت التهوية داخل تلك المنشآت عاملا مهما للقيام بدورها الوظيفي , ومن خلال ضيق عرض الشوارع ومجاورة بعض المنشآت

١٨٧ - فريد شافعي ، العمارة العربية، ص ٢٨٨ .

٢٥٤ - عبد الله كامل موسى ، الزوايا في العمارة الدينية الليبية خلال العصر العثماني، المؤتمر السادس للإتحاد العام للآثاريين العرب ، الندوة العلمية الخامسة، دراسات في آثار الوطن العربي ، القاهرة، ٢٠٠٣م ص ٨٤٨ .

١٨٩ - سمير عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

المدنية لها وعدم ارتفاع جدرانها مع السمك الملحوظ فقد تمتعت تلك الجدران بدرجات من الظلال على مدار النهار جعلت ذلك ملطفا لدرجة الحرارة .

د. عناصر الوقاية :- تعتبر عناصر الوقاية من أهم العناصر التي تشكل المبنى , لأن المبنى ينشأ أصلا كماوى للإنسان و حمايته وتتنوع الوقاية بتنوع المؤثرات , فهناك عناصر للوقاية من الجو تتمثل في الحوائط والأسطح الخارجية بأنواعها , وهناك عناصر للوقاية من أعين الناس في الحوائط الخارجية والقواطع الداخلية والأسوار , وهناك أيضا عناصر للوقاية من الأخطار في الأسوار والبوابات وغيرها^(١٩٠) .

وتمثلت هذه العناصر في منشآت مصراة الدينية , فمثلا للوقاية من الجو راعى المعمار أن تكون جدران المنشآت وكذلك الأسطح مغطاة بقباب أو أقبية متينة ولا تفتقد لعنصر الجمال حسب الإمكانيات المتاحة , فاستخدم في بنائها قطع الحجر الجيري ومونه الطابية بسمك يتراوح بين المتر الواحد والمتر ونصف , حتى يوفر للمصلين داخل تلك المنشآت درجة من الحماية سواء من الحرارة صيفا أو من البرودة شتاء .

أما أسطح تلك المنشآت فهي من مادة البناء أيضا حتى تقي المصلين بداخلها من الأمطار شتاء , وحرص المعمار على جعل التغطية بأقبية نصف اسطوانية في منشآت (المحجوب , وفتح الله , والشيخ , وبن نصر) أو بقباب متعددة كما فى منشآت (الزروق و خازندار, ويدر) , كما حرص على تغطية تلك الأسطح بطبقة سميكة من الملاط لكي تتحمل مياه الأمطار ثم قام بعمل ميازيب في قنوات توزع فى مستوى أسطح المنشآت وتبرز عن واجهتها حيث ينحدر الماء على هذه الأسطح فتصبه من هذه الفتحات ليسقط على الأرض , كما وضعت هذه الميازيب بين الفواصل المنخفضة فى الأقبية بميل مناسب حسب اتجاهاتها , كما وضعت بين طاسات القباب حسب اتجاه الرياح وطبيعة وضع المبنى , و نجحت فى حماية الأسطح وليس أدل على نجاحها من بقائها قائمة حتى اليوم . أما بالنسبة لأساليب الوقاية من أعين الناس , ففي مقدمتها الارتفاع بمستوى أرضية المنشأة عن مستوى أرضية الشارع ليتجنب من بداخل المنشأة ليس فقط أعين الناس بل والضوضاء التي يحدثونها خاصة فى المنشآت التي تقع على الشوارع الرئيسية , ونرى مثال ذلك فى جامع المحجوب وجامع الشيخ , ولمن الأخير ارتفعت أرضية الشارع من حوله (الآن) فتساوت أرضية المنشأة معها . كما أن ارتفاع مستوى الفتحات للنوافذ والتي جعلها المعمار فى مستوى أعلى من جدران المنشأة سواء فى أطراف الأقبية (المحجوب , الشيخ , بن نصر , فتح الله) أو حتى فى النوافذ المتسعة , ولكنها مغلقة محكمة الغلق لكن تحقق نفس الغرض , ومن ثم نرى جدراننا فاصلة بين الجوامع وبين ما لحقها من وحدات معمارية أخرى كأروقة الزوايا والأضرحة , وفى حالة اتصالها تكون عبر فتحة نافذة ضيقة (كما فى

^{١٩٠} - محمد عبد الستار , الوظيفية , ص ٤٠٩ .

(المحجوب)، أو فتحة باب يمكن غلقه بإحكام (كما في منشآت فتح الله وخازندار) وحيث كانت زاوية ابن غلبون يتجه رواقها عموديا على جدار القبلة وستعملا لتدريس المذهب المالكي^(١٩١). أو جعل لها فتحات أبواب مستقلة كما في زاوية المحجوب وزاوية الشيخ فتح الله ، وزاوية الأغا بيدر، كما نرى أساليب الوقاية من الأخطار الخارجية في زيادة الاهتمام بمدخل المنشأة كما في جامع الزروق (لوحات ١ ، ٢) وعمل أبواب متينة لها من معدن الحديد ، أو من الخشب السميك كما في (المحجوب ، فتح الله ، الشيخ ، بن نصر ، يدر)، وتم تزويد الجامع أحيانا بمسطبة خارج المدخل كما في زاوية المحجوب ، وجامع الشيخ ، وهي التي قد يستخدمها الحراس أو خدام المنشأة لحراستها .

و- العناصر الجمالية : -تعتبر العمارة نتيجة لكل محاولة قام بها الإنسان وهدف بها الى أن يوفر لنفسه في معيشته ثلاث مطالب ؛ كلها أو بعضها وهي : الراحة ، الأمن ، والجمال ، وتعد هذه من صميم العمارة ما دام الإنسان قد ابتكرها وتابعها بالتطوير والتجديد^(١٩٢) وبصفة عامة لاتمثل العناصر الجمالية أهمية كبرى بالنسبة للمعمار الليبي ، فقد اتبع تقليدا معماريا يقوم على بناء مسجد بسيط خالي من الزخرفة وهذه الظاهرة نلاحظها في أغلب المساجد سواء تلك التي شيدت قبل الفترة العثمانية أو في أثنائها^(١٩٣) ، ومع تطبيق هذه الظاهرة على منشآت مصراتة الدينية ، نجد انحصار الزخارف البسيطة فيها علة ثلاثة عناصر معمارية فقط وهي : المدخل ، المحراب ، وداخل القبة الضريحية ، كما أن العناصر التي شملتها تلك الزخارف تتمثل في عناصر هندسية أو نباتية أو كتابية بأسلوب الحفر في الجص أو الحجر أو الخشب ، وتخلو من الزخارف الرخامية لندرة استخدام تلك المادة في منشآت مصراتة ، كما تخلو البلاطات الخزفية والتي كثر استخدامها في منشآت طرابلس في الفترة العثمانية^(١٩٤) . واستخدم أسلوب الحفر في الحجر أو الجص في مصر في المحاريب الطولونية حيث حليت عقودها بزخارف جصية وفي المحاريب الفاطمية نقشت عقودها وطواقيها وتواشيحها بزخارف جصية ، ثم حليت عقود المحاريب الأيوبية بزخارف جصية على هيئة تضاليع محارية ، ثم وفي دولة المماليك البحريةية ظهرت نماذج لمحاريب جصية ونماذج حجرية حليت طواقيها بالمقرنصات^(١٩٥) . وتمثل أسلوب الحفر في الحجر في موضعين بجامع محمود خازندار ، الأول على واجهة و كوشتي المحراب (لوحة) وتجمع بين الزخارف الهندسية والنباتية المحورة ، والثاني اعلي المدخل من الصحن الى بيت الصلاة وهو عبارة عن كتابات محفورة في الحجر بخط النسخ تمثل فيما

١٩١ - موسوعة ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

١٩٢ - فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ٤٦ ..

١٩٣ - على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد الليبي ، ص ٣٢٥ .

١٩٤ - المرجع نفسه ، ص ٣٤١ ، ٣٥٦ .

١٩٥ - حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٥ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

يرجح نقشا حديثا حل محل النص التأسيسي الأصلي للجامع (لوحة ٥٤ ، شكل ١٧) ، وهذا النقش الكتابي هو (١- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على ٢- سيدنا محمد قرية الشروع قبيلة قصر

٣- أحمد تأسيس الأول بحول الله وقوته تأ ٤- سيس الشيخ محمد بن خليل غلبون تأسيس

٥ - الثاني تأسيس عبد الرحمن بن عبد ٦- الله غلبون سنة ١٣٧٥) (١٩٦)

والحقيقة أن هذه اللوحة قد خدعت كثيرا من الباحثين والدارسين ، وأدخلتهم في جدل كبير حيث تعاملوا معها على أنها نص تأسيس المنشأة أو حتى تجديدها عند إضافة الزاوية لجامع خازندار في عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦ م . وقد ذكر مؤلفوا الموسوعة الأثرية الإسلامية أن التاريخ هو (١٧٧١م) وهي قراءة خاطئة (١٩٧) ، حيث لم يرد في أي لوحة تحمل نقشا كتابيا التاريخ مؤرخ بالتاريخ المسيحي في ولايات الدولة العثمانية . وبينما يذكر "البلوشي" أن المؤسس الحقيقي للجامع هو محمود خازندار ومؤسس الزاوية هو الشيخ ابن غلبون (١٩٨) ، فإن الحقيقة هي أن هذه اللوحة قد نقشت مع آخر صيانة للمسجد في العصر الحديث وكان ذلك عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥ م ، في عهد الملك السنوسي وعلى يد السيد عبد الرحمن بن عبد الله غلبون (ت ١٩٦٩ م) (١٩٩) .

وتمثل أسلوب الحفر البارز في الجص على منشأة المحجوب ، حيث نرى شكل هلالين ونجمتين على واجهة مدخل زاوية المحجوب (لوحة ٣) وكذا في منشأة الزروق على المدخل الشمالي الغربي شكل هلال (لوحة ٢) ، وفي أشكال الخطوط الهندسية الغائرة في الجص على محرابه (لوحة ٢٢) ، كما يتمثل هذا الأسلوب في لوحة من الجص ذات إطارات من الزخارف النباتية والهندسية بوسطها كتابة بخط الثلث ، وقد اعتبر العثمانيين خط الثلث الأب أو الجد لكل ما جاء بعده من خطوط وأصبح عندهم له شعبية واسعة كخط زخرفي وتسجيلي (٢٠٠) . كما استخدم الخط الكوفي المربع بالدهان داخل ضريح المحجوب ونصه الشهادتان (لوحة ٤٥ ، شكل ١٨) ، وترجع أصول الخط الكوفي المربع للمنشآت السلجوقية التي استخدمت فيها قوالب الطوب المزجج والتي يمكن وضعها باتجاهات مختلفة في زوايا قائمة ومن ثم انتشر في أنحاء العالم الإسلامي (٢٠١)

- ٢٦٢ - نشره مع أخطاء في القراءة والتاريخ مختار الهادي بن يونس ، علماء الغلابنة وأثارهم العلمية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، الطبعة الأولى ، طرابلس ١٩٩١ ف ، ص ٥٨ .
- ١٩٧ - موسوعة ، ج ١ ، ١٧٨ .
- ١٩٨ - على مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد الليبي ، حاشية ٤ ، ص ١٨٤ .
- ١٩٩ - على جهان ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
- ٢٠٠ - أصلان آبا ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .
- ٢٠١ - سامي عبد الحلیم إمام ، الخط الكوفي الهندسي المربع حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩١ .

الخاتمة

تكمن أهمية دراسة موضوع "المنشآت الدينية في مصراتة" من خلال عدة نتائج توصل إليها البحث بعد الاستفادة بعدد من المصادر والوثائق والمراجع العربية والأجنبية والاستدلال بعدد من اللوحات والأشكال المفرغة والخرائط؛ ومن هذه النتائج:

١- كانت مدينة مصراتة تابعة "لولاية طرابلس الغرب" وسارت عمارتها الدينية على الطراز المغربي المحلى والذي تطور منذ إنشاء جامع عقبة بن نافع بالقيروان، ولحق بمنشآت مصراتة تأثيرات مغربية خاصة من "تونس" وتأثيرات مشرقية وتركبية عثمانية بحكم بقاء الأتراك العثمانيين فيها نحو أربعة قرون من الزمن.

٢- المنشآت الدينية الباقية بمصراتة هي "٨" منشآت تتوزع بين مساجد جامعة ومجمعات مكونة من مساجد وزوايا وأضرحة وزاوية واحدة مستقلة، وأقدم تلك المنشآت يعود للقرن ١٠هـ/١٦م، وأحدثها يعود للقرن ١٣هـ/١٩م، ويدرس بالبحث منشأة "جامع يدر" لأول مرة ولم يجمع بين تلك المنشآت الباقية بحث مستقل واحد من قبل وهي ثمانية منشآت باقية من بين ٢٢ منشأة كانت قائمة بالمدينة حتى القرن ١٢هـ/١٨م حسبما تذكر المصادر.

٣- كانت نشأة المدينة وتطورها العمراني من العوامل التي أثرت على منشآتها، فارتبط قيام هذه المنشآت بإنشاء أحياء جديدة فاحتلت مراكزها، وكان "الجامع العالي" بمصراتة هو مسجدها الجامع الذي كان نواة لها ولتخطيطها العمراني وبخاصة خلال فترة ازدهارها في العصرين العثماني القرمانلى.

٤- كان للقبائل الكبرى دور في بناء المساجد الجامعة بالمدينة والقيام على أداء وظائفها، وأدى الازدهار الاقتصادى فى العصر العثماني والنتائج عن النشاط التجاري الى كثرة المنشآت الدينية التي ترجع الى ذلك العصر، فأقيمت منشآت جديدة وأعيد تجديد وصيانة باقى المنشآت القائمة.

٥- أثرت الأحكام الفقهية وبخاصة تلك التي تستند للمذهب المالكي وفتاوى الفقهاء بجواز تعدد صلاة الجمعة فى المصر الواحد لضرورة، فى تعدد المساجد الجامعة وتحويل بعض مساجد الأوقات الخمسة الى جوامع، كما كان تأثير ظاهرة التصوف واضحا فى إلحاق الزوايا والأضرحة بالمنشآت الدينية فى مصراتة ومن ثم نشأ فيها نظام المجمعات المعمارية وأثر إلحاق هذه الوحدات على تخطيط المنشأة وعمارته.

٦- كان لاختيار العثمانيين لمدينة "الخمس" على بعد نحو ٩٠ كم غرب مصراتة كعاصمة للمتصرفية العثمانية أثره على مدينة مصراتة، وعلى منشآتها فلم تنشأ بها عمائر على الطراز العثماني الوافد وأثر المعمار الطراز المغربي المحلى فى تخطيط منشآته.

٧- قام العثمانيون بإعفاء الأحماس الموقوفة على المنشآت الدينية فى المدينة من الضرائب وتكفلوا بحمايتها مما نتج عنه قيامها بوظائفها المتعددة.

- ٨ - أثرت الوظيفة والإنشاء ورغبة المنشئ على تخطيط المنشأة وتعدد وحداتها وعناصرها المعمارية , فالجامع للصلاة والزاوية للتدريس والتصوف , والضريح كمدفن للمنشئ أو شيخ الزاوية أو الفقيه .
- ٩ - فضل المعمار في منشآت مصراته الدينية عدم وضع الضريح في اتجاه القبلة وإنما وضعه في ركن من المنشأة خارج بيت الصلاة ومن ثم لم يؤثر على التخطيط الداخلي إلا من حيث إضافة مساحة مربعة له ولم يتصل ببيت الصلاة إلا في منشأة واحدة عن طريق فتحة نافذة صغيرة .
- ١٠ - ألحقت زوايا لكبار العلماء والفقهاء ومشايخ الصوفية بالمساجد الجامعة في مصراته , فألحقت زاوية الزروق بجامعه وزاوية المحجوب بجامعه وزاوية الشيخ فتح الله بن خليفة بجامعه , وزاوية ابن غلبون بجامع محمود خازندار , وزاوية احمد الحسن الشريف بجامع "يدر" في حين ظل جامع الشيخ محمد بن عبد العزيز فلم تلحق به وحدات معمارية أخرى .
- ١١ - التيس الأمر على بعض الباحثين باطلاق العامة اسم "زاوية" على كل جامع قديم يحفظ القرآن فيه وذلك لما شاع عن أهل مصراته من تركهم للجوامع القديمة قائمة وقيامهم بإنشاء جوامع حديثة واسعة المساحة , وشتان بين ظروف المنشأة ورغبات المنشئ ووظيفة وتخطيط المنشأة وبين ما أطلقه العامة عليها حديثا .
- ١٢ - أثرت عوامل المناخ والبيئة على أساليب التغطية في المنشآت الدينية بمصراته؛ فاستخدمت القباب و الأقبية في تغطيتها دون استخدام الأسطح المسطحة , مما تمخض عنه توفير مصدر للمياه بالمنشآت والتي تجمع عبر ميازيب مثبتة بين قباب وأقبية الأسطح لتصب في "الواجل" الأرضية للانتفاع بها في الطهارة والوضوء .
- ١٣ - استخدمت في منشآت مصراته مواد بناء محلية أنشئت بها جدران سميكة ذات أكتاف خارجية داعمة لها من الخارج ومساطب من الداخل , وكان استخدام الحجر في البناء له تأثيره , وذلك بالجمع بينه وبين الأجر والرمل والجير (طريقة ضرب الباب) دون الحاجة لكتل صخرية ضخمة مما يزيد من متانة البناء وتماسكه مع ميل الجدران الى الداخل كلما ارتفعنا .
- ١٤ - الأعمدة الحاملة للعقود قصيرة الارتفاع ومعظمها مجاوب مع تيجانها من عمائر متهدمة مما شجع على إعادة استخدامها وتم توفير أوضاعها لتحمل عقود البوائك وغلب على مادتها الحجر الرملي وقليل منها أعمدة رخامية ومن حيث الشكل كلها اسطوانية بلا قواعد وشاع استخدامها في بلاد المغرب بديلا عن الدعائم منذ العصر الموحدى الثانى ومن ثم كان لذلك اثر في تخطيط المنشآت على أساس تقسيمها لبلاطات يمكن تغطيتها بالأقبية أو القباب .
- ١٥ - انقسمت أنماط التخطيط المعماري في منشآت مصراته الى أربعة أنماط , كان أكثرها شيوعا النمط المكون من مساحة مستطيلة مكونة من صحن مكشوف ضيق

ورواق للصلاة مقسم عن طريق البوائك المعقودة الى بلاطات تتجه عمودية على جدار القبلة , وهو التخطيط الذي ساد في بلاد المغرب منذ العصر الاموي مرورا بالعصر الموحدى حتى العصر العثماني , واثبت البحث أن الأصول التي يستند عليها بعض الباحثين على أساس وجود أمثلة أعلى الجبل الغربي بليبيا لا تعدو أن تكون ذات ثلاث بلاطات أو بلاطة واحدة واضطر المعمار لتخطيطها كذلك بسبب نظام الأقبية الطولية الذي جاء نتيجة التأثيرات المناخية .

١٦ - كان النمط الثانى من أنماط التخطيط يقوم على مساحة مكونة من صحن ورواق للصلاة مقسم عن طريق البوائك المعقودة الى بلاطات موازية لجدار القبلة , وهو النظام التخطيطي الأقل شيوعا فى منشآت مصراتة , وربما يرجع ذلك لشيوع نظام البلاطات العمودية منذ إنشاء جامع القيروان بالمغرب كما يعبر أحيانا عن رغبة مسبقة لدى المنشئ فى التغطية بالأقبية والمرتبب بالتخطيط .

١٧ - ارتبب النمط الثالث من أنماط التخطيط بفترة وجود العثمانيين فى طرابلس الغرب . وهو يقوم على مساحة تضم الصحن ورواق الصلاة المقسم الى بلاطات عمودية وموازية لجدار القبلة فى آن واحد وتغضى المناطق المربعة المكونة من ذلك قباب متعددة ومتساوية , وبرغم معرفة بلاد المغرب به قبل الوجود العثماني إلا أن شيوعه فى منشآت مصراتة (٥ منشآت من القرن ١٢هـ / ١٨م) يؤيد انه نمط تخطيطي عثمانى وافد تم تنفيذه بأيدي محلية طبقا للظروف والإمكانيات المتاحة .

١٨ - كان النمط الرابع من أنماط تخطيط المنشآت الدينية فى مصراتة ملازما للزاويا الملحقة بها , وهو يقوم على صحن أوسط يتعامد عليه رواقان أو أكثر وتفتح عليها خلاوى ضيقة المساحة وقد يلحق بها ضريح للمنشئ أو لشيخ الزاوية , وارتبب هذا التخطيط بوظيفة الزاوية وظروف الإنشاء والمساحة المتاحة , وقد أخذت عنها المدرسة الليبية تخطيطها أحيانا وبعض عناصرها المعمارية .

١٩ - تشابه نظام المجمعات المعمارية فى المغرب الاسلامى مع مشرقة , من حيث تكوينه من عدة وحدات , مع خلاف فى التفاصيل , فالمجمع المعماري فى المغرب يتكون من مسجد جامع وزاوية وقبة ضريحية وفى المشرق يضم مدرسة ومسجد أو خانقاه ومسجد مع سبيل وكتاب وضريح للمنشئ .

٢٠ - تقوم الزاوية فى المغرب الاسلامى مقام الخانقاه فى المشرق , ولكن الأولى تختص عادة بطريقة صوفية واحدة أو تكون تعليمية تقوم بوظيفة المدرسة لخلو مصراتة من المدارس المستقلة إلا من واحدة (الزروق) مندثرة الآن .

٢١ - تعددت أشكال العقود المستخدمة فى المنشآت الدينية بمصراتة ؛ فكان أكثرها استخداما العقد المدبب ذو المراكز المتعددة , وبخاصة فى بوائك بيوت الصلاة أو بعض عقود المحاريب , وساد العقد المدبب المتجاوز لنصف الدائرة فى المداخل , والمتجاوز المدبب فى عقود المحاريب , مع العقد النصف مستدير والموتور وهو الأقل استخداما .

٢٢ - انتقل أسلوب التغطية بالقباب المتعددة والمتساوية والذي عرف في بلاد الأناضول في عصر السلاجقة على أيدي العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب , وأصبح من الملامح المعمارية المميزة للمسجد الليبي فيما بين القرنين ١٠-١٣هـ/١٦-١٩م , وساعد على الأخذ به ندرة الأخشاب الصالحة لتغطية المساحات الواسعة في البيئة المحلية , وكان لسهولة تنفيذه وقلة تكاليفه وتماشيه مع الأسقف المنخفضة أكبر الأثر على نجاح المعماريين الليبيين في دمج الأساليب المعمارية العثمانية الوافدة مع الأساليب المغربية المحلية .

٢٣ - استخدمت الحنايا الركنية البسيطة في مناطق الانتقال بقباب المنشآت الدينية في مصراتة أكثر من استخدام التلثات الكروية , وهو الأسلوب المفضل في مناطق الانتقال بعمائر طرابلس والمعروف بها منذ العصر البيزنطي , مما يدل على استمرار الأساليب المعمارية الشرقية بجوار المغربية في مصراتة .

٢٤ - استخدمت بمنشآت مصراتة - موضوع الدراسة - نوافذ عليا ذات وظيفة إنشائية بهدف تخفيف ثقل الجدران وكانت فتحاتها صغيرة ومعقودة لتوزيع الإثقال , كما استخدمت نوافذ سفلية ذات فتحات متسعة لغرض الإضاءة والتهوية .

٢٥ - يمكن معرفة متوسط أعداد المصلين بالمنشآت الدينية -موضوع الدراسة - عن طريق حساب مساحة المتر المربع الواحد لكل مصلى , فيصبح عدد المصلين في ٧ منشآت باقية حسب مساحتها نحو (١٠٣١مصل) وتقديرا يصبح عدد المصلين في ٢١ منشأة كانت قائمة في القرن (١٢هـ/١٨م) حوالي (٣٠٩٣مصل) , وعليه يمكن حساب متوسط سكان المدينة في تلك الفترة بنحو ٦٠٠٠ نسمة .

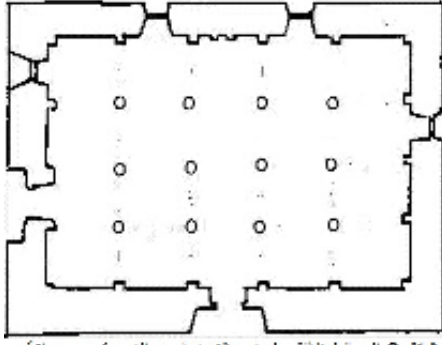
٢٦ - قام الصحن في المنشآت - موضوع الدراسة - بوظائف متعددة , فهو أهم عناصر الاتصال والحركة كصالة توزيع رئيسية , ومصدر للتهوية لباقي وحدات المنشأة , ويصلى فيه المسلمون في حالة ازدحام بيت الصلاة بالمصلين , وهو حل معماري محقق للإضاءة , كما استغله المعماري في بعض المنشآت ليشتيد بوسطه ماجل لتجميع المياه اللازمة للمنشأة , وأحيانا أقام على مساحته أروقة الزاوية الملحقة أو بلاطات مضافة لبيت الصلاة .

٢٧ - المحراب في منشآت مصراتة الدينية غالبا غير مجوف بجدار القبلة وإنما يوضع داخل كتلة بنائية بارزة عن الجدار لداخل بيت الصلاة , وتجويفه غير عميق , وهو خال من الزخارف إلا في حالات نادرة , وتعددت أشكال عقود المحاريب , كما دعمت من خارج الجدار بكتل بنائية في حالة تجويف حناياها بجدار القبلة .

١٨ - خلت المنشآت الدينية بمصراتة من المآذن وحل محلها درج حجري يصعد لسطح المنشأة يقوم بوظيفتها ليؤدي من عليه المؤذن الأذان ويسمى محليا (المئذنة السلم) وقد يوجد عليه "مزولة شمسية" لتحديد مواقيت الصلوات النهارية , بقي نموذج

لها بمصراته، وهي التي انتشر استخدامها في تركيا العثمانية والأمصار التابعة لها ومن بينها مصر، ليبيا، تونس، الجزائر .

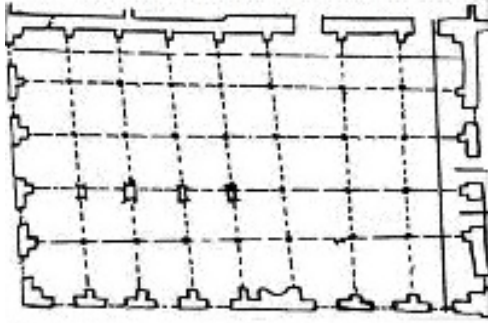
٢٩ - تميزت مداخل المنشآت - موضوع الدراسة - بأنها مباشرة ودون درج وفي حالة تعددها كان احدها يؤدي مباشرة لبيت الصلاة وكان سبب التعدد هو تعدد وظائف المنشأة وملحقاتها , ومن ناحية الزخارف فهي بسيطة أو خالية من الزخارف , ومن الناحية الإنشائية فهي ذات فتحات ضيقة بسبب ثقل الأسطح ولتحاشي اثر العوامل المناخية .



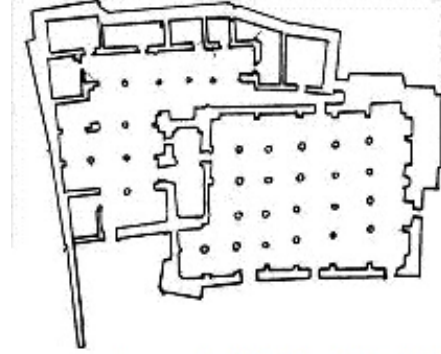
شكل 2 المسقط الأفقي لجامع الشيخ أحمد الزورقي بمصراتة
(من عمل الباحث)



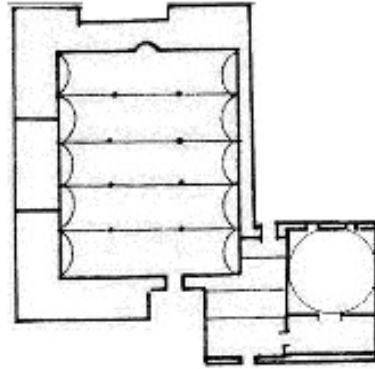
شكل 1 خريطة مدينة مصراتة موقع عليها مواقع المنشآت الدينية



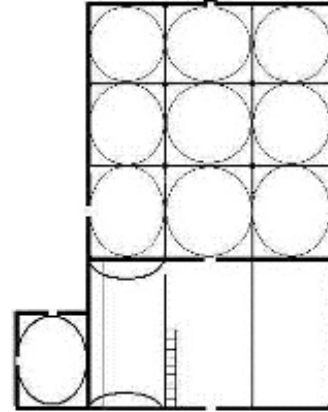
شكل 4 المسقط الأفقي لجامع الشيخ محمد بن عبدالعزيز (من عمل الباحث)



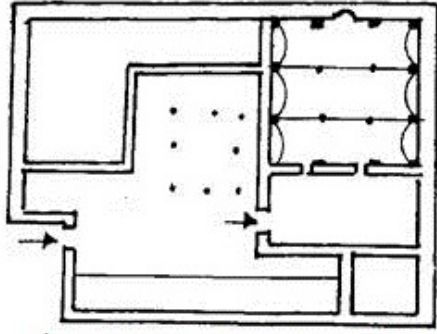
شكل 3 المسقط الأفقي لمجمع ابراهيم المحجوب (عن موسوعة الآثار الإسلامية)



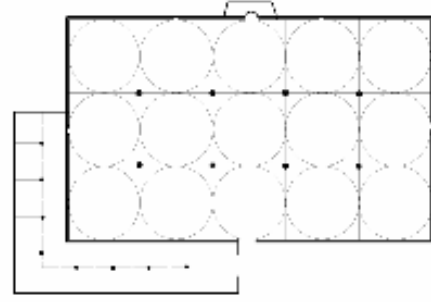
شكل 6 المسقط الأفقي لمجمع فتح الله بن خليفة (عن مسعود البلوشي)



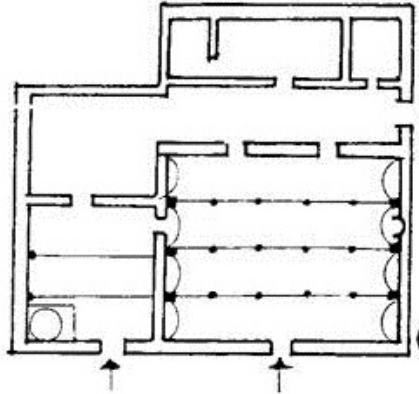
شكل 5 المسقط الأفقي لجامع محمود خازندار (من عمل الباحث)



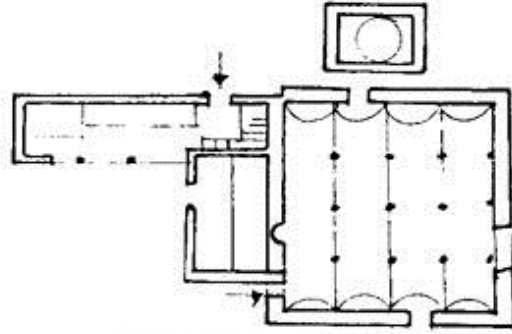
شكل 8 المسقط الأفقي لمسجد وزاوية المنتصر (عن مسعود البلوشي)



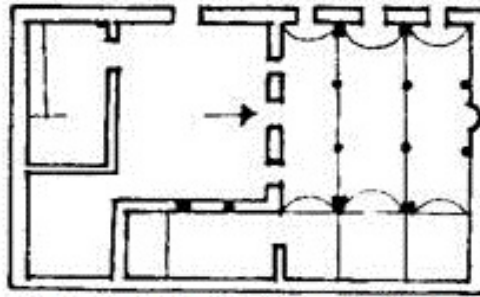
شكل 7 المسقط الأفقي لجامع بدر (زاوية الأعمى) من عمل الباحث



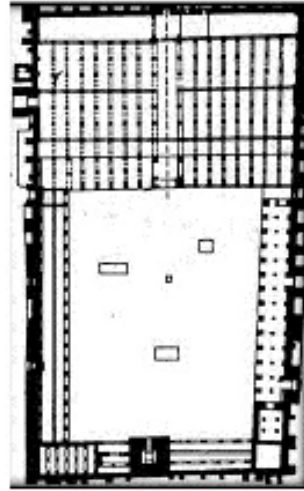
شكل 9 المسقط الأفقي لمسجد السور (عن مسعود البلوشي)



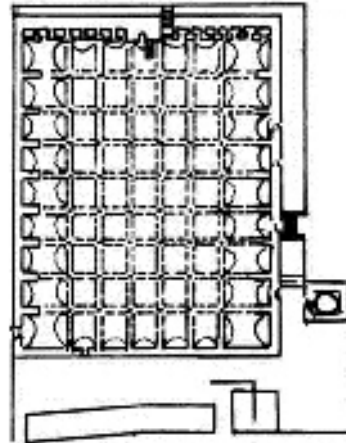
شكل 10 المسقط الأفقي لجامع صالح بن حمودة (عن مسعود البلوشي)



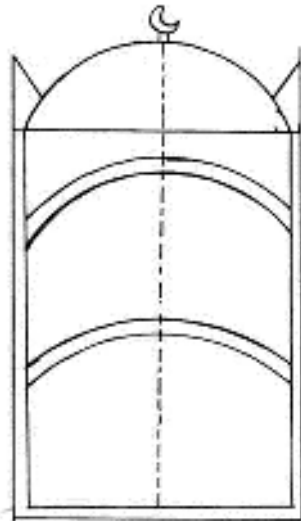
شكل 11 المسقط الأفقي لمسجد الساعدية (عن مسعود البلوشي)



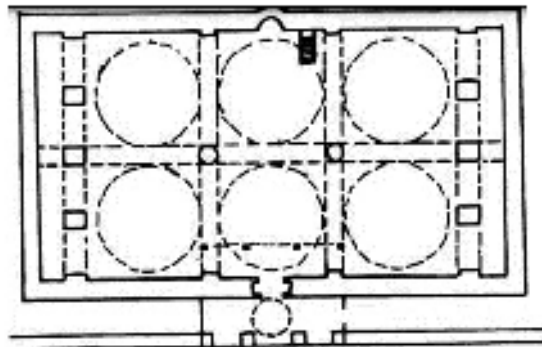
شكل 13 المسقط الأفقي للمسجد الجامع
بالقاهرة (٢٢١هـ/ 836م
(عن أحمد فكري)



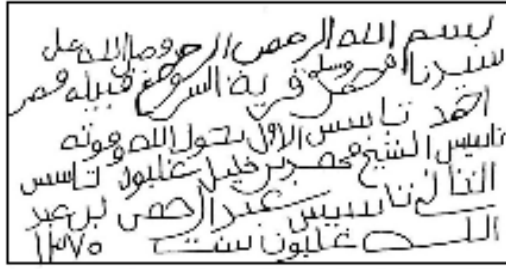
شكل 12 المسقط الأفقي لجامع سامراء
بالحيرة (عن عاصم بن مسعود)



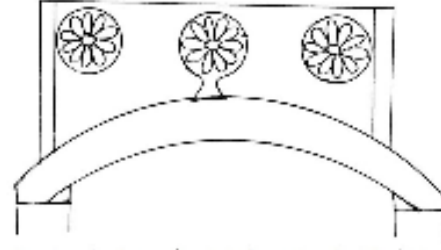
شكل 15 مسقط رأس القبة الضريحية
بجمع السجود (من عمل الباحث)



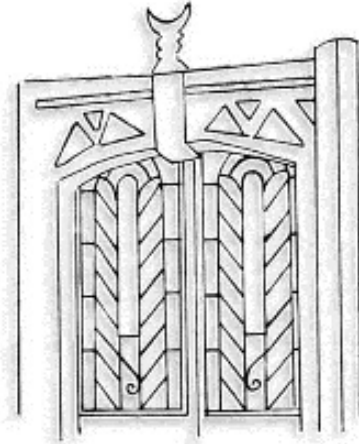
شكل 14 المسقط الأفقي لجامع بيالة باشا باستانبول
(عن عاصم بن مسعود)



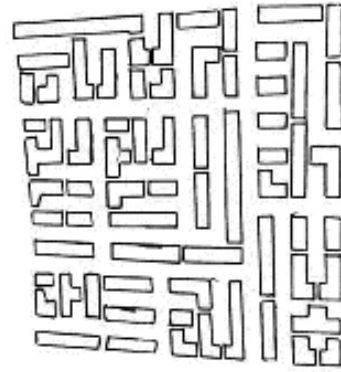
شكل 17 النقش الكتابي على مدخل بيت الصلاة من
المسجد بجامع خازندار (من عمل الباحث)



شكل 16 الزخارف النباتية والهندسية على واجهة
محراب خازندار (من عمل الباحث)



شكل 19 الزخارف الهندسية المحفورة
على الخشب بمدخل جامع الزروق
(من عمل الباحث)



شكل 18 الكتابات الكوفية المربعة
داخل القبة الضريحية
(من عمل الباحث)



لوحة 3 المدخل الرئيسي لزاوية الشيخ
إبراهيم المحجوب



لوحة 2 المدخل الشرقي الغربي
لجامع الزروق



لوحة 1 المدخل الشمالي الغربي لجامع الزروق من
الداخل



نوحة 6 مدخل الضريح بجمع
لشيخ فتح الله



نوحة 5 مدخل بيت الصلاة من
تسعين بجامع الشيخ فتح لله



نوحة 4 مدخل بيت الصلاة من المسجد
بجمع الشيخ إبراهيم المحجوب



نوحة 9 تجران الملاة للداخل
بجامع الزروق



نوحة 8 مدخل النساء بجامع
الخانشار (بن عليون)



نوحة 7 مدخل الرئيسي (لجنوبيين)
لجامع الشيخ محمد بن
عبد العزيز



نوحة 12 سارية تربية الخضراء على
يمين الداخل لزوية الشيخ المحجوب



نوحة 11 جدار القبلة من الخارج بجامع
الشيخ إبراهيم المحجوب



نوحة 10 الركن الجنوبي لجمع الشيخ
لمحجوب من الخارج



لوحة 14 صحن المجموعة المعمارية للشيخ فتح الله



لوحة 16 بيت الصلاة بجامع الزروق



لوحة 13 الداعم الخريحي (بطل)
بالحدود الشمالي لبيت الصلاة
بمجمع الشيخ المحجوب



لوحة 15 الجدار الشمالي الشرقي لبيت الصلاة بمجموعة الشيخ فتح الله



لوحة 18 بيت الصلاة بجامع الخازندار من الداخل



لوحة 17 بيت الصلاة من الداخل
بجامع المحجوب



لوحة 20 بيت الصلاة بجامع يدر



لوحة 19 بيت الصلاة بجامع الشيخ



لوحة 22 محراب جامع الزروق



لوحة 21 بيت الصلاة بجامع الشيخ فتح الله من الداخل



لوحة 24 محراب جامع الخزندار



لوحة 23 محراب جامع الشيخ ابراهيم
المحجوب



لوحة 26 محراب ومنبر جامع الشيخ



لوحة 25 محراب جامع الشيخ فتح



لوحة 28 محراب ومنبر جامع الخزانة



لوحة 27 محراب جامع بدر (ز لوية الأغا)



لوحة 30 جدران ومحراب جامع بدر



لوحة 29 حباب بيت الصلاة بجامع الخزانة



لوحة 32 بقعة تمريحية للشيخ فتح الله



توحة 31 قبة الشيخ ابن عثون الملحقة بجامع الخازندار



لوحة 34 الاقنية النصف برصية سقطت جامع شيخ فتح الله من اعلى



لوحة 33 اقنية السطح بجامع الشيخ



توحة 36 بيانات الاقنية البرصية اعلى قبلة بجامع شيخ تمحروب



لوحة 35 القبة النصف برصية الموحدة بجامع الخازندار من الداخل



لوحة 39 السعتم والعقود المدمجة بحدران بيت الصلاة بجامع الخازندار



لوحة 38 إحدى النوافذ بالحدان الجنوبي الغربي لبيت الصلاة بجامع الخازندار



لوحة 37 واجهة جدار القبلة من الخارج بجامع الشيخ



لوحة 42 مدخل الشريح بمجمع الشيخ
ابراهيم المحجوب



لوحة 41 منطقة الانتفال بقبة
شريح الشيخ فتح الله



لوحة 40 المثلثات الزكوية في
منطقة انتقال القبة بالزورق



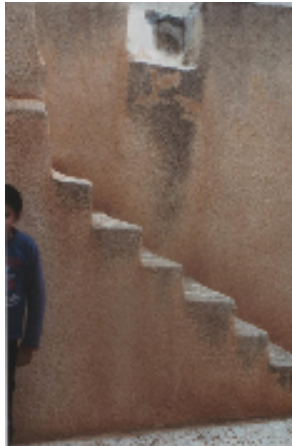
لوحة 45 تكيفات الكيفية لربعة
بالقبة الصريحية بالشيخ المحجوب



لوحة 44 نافذة بالقبة الصريحية للشريح
المحجوب



لوحة 43 منطقة الانتفال بالقبة
الصريحية بالشيخ المحجوب



لوحة 48 المكدلة السلم بصحن
جامع الخزانة



لوحة 47 تاج عمود رخامى يغطى
فتحة المايل بزاوية الشيخ المحجوب



لوحة 46 أحد الأعمدة الرخامية
على جانب المدخل الرئيسى لجامع



لوحة 50 الساعة الشمسية (المزولة) بجامع الخازندار



لوحة 49 المنقذة السلام بجامع
الخازندار (من أعلى)



لوحة 52 رواق الزاوية بجامع الشيخ فتح الله



لوحة 51 قاعة التدريس بزاوية الشيخ
إبراهيم المحجوب من الداخل



لوحة 54 تلسيمية أعلى منخل بيت الصلاة بجامع
الخازندار



لوحة 53 إحدى الخلاوي بزاوية بدر



لوحة 56 مسجد طرميسة أعلى الجبل الغربي
ق 10 هـ / ق 16 م .



لوحة 55 زخرقية من الجص بجامع الزروق



لوحة 57 الواجهة الشرقية لجامع بن نصر
عن علي محمد جيهان (الحيلا الثقافية بمصر) من 191



لوحة 58 صورة للمسجد
العالى قبل هدمه